

د. أيمن أبو الشعر
بين روزا لوكسمبورغ وساحة العاصي!

د. راتب سكر

أيمن أبو الشعر

بين روزا لوكسمبورغ وساحة العاصي!

دراسة

أيمن أبو الشَّعر بين روزا لوكسمبورغ وساحة العاصي!

الناشر: دار جهات للنشر والطباعة والتوزيع

الطبعة الأولى – 2022

طُبع من هذا الكتاب 1000 نسخة

تصميم الغلاف: طلال أبو الشعر

الحقوق كافة محفوظة للمؤلف

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكلٍ من الأشكال أو بأي وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها - من دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف أو الناشر.

الإخراج الفني: دار جهات للنشر والطباعة والتوزيع

ريف دمشق – جرمانا – ساحة السيوف – بناء قسّام والأحمدية

موبايل: 988840717 أو 944780204 - 00963

[jihathouse@gmail.com](mailto:jihatouse@gmail.com) Emails:

jahmadie59@hotmail.com

الإهداء

إلى بلبل العاصي المغرّد

في فضاء الثقافات وحواراتها

وتراسل آدابها وفنونها

أستاذنا وصديقنا المشترك

الشاعر الرَّاحل:

محمد الحريري (1922 - 1980)

في الذكرى المئوية لميلاده!

راتب وأيمن

مقدمة

بقلم الأديب الدكتور حسن حميد

حذق الشعر.. وحذق الرؤيا

الآن،

أشعرُ أن الوقت هبةٌ،

وأن المحبة ساقيةٌ جارية،

وأن الضفاف زهوةٌ خضرةٍ نادرة،

وأن الهواء عصافير جنّت بالرفرفة..

وأن قلبي يدقُّ، ويسلّم، ويهتف لانهمار الكلام،

-1-

أشعر بالمحبة ظللاً وارفاتٍ، وقد جالستُ الورقَ،
والحبرَ، والطيوفَ التي تدور حولي، وبي، لكي أكتب عن
الشعر؛ والشعر لا تعريف له سوى أنه جنون، وشغف،
وألوان، ونداءات، وقلائد كلام، ودروب ترتجي الغيوم
صحبتها، وقرى تمشي بأنهارها وضافها ورماتها، وساحرات
يوقدن النار الشبوب حتى تصير المساءاتُ الأناشيدَ الطوال،
وغدران استفردت بأجساد النساء المرايا وقت الحرور.

الآن، أشعرُ بصحوي يطوف بي في عوالم المحبة
ومروجها، كيما أطلع قبلة صغيرة في مقدمة هذا الكتاب
المتوهج بالمعاني النبيلة، والثقل بما احتواه واشتمل عليه
من رؤى وأسرار داهشات، فهو كتابه شاعرٍ، يصوغ روح
الكلام أسطراً من نور، ليستبطن خافيات القصيد، وليبدي
حرائق الكلام وما تخلفه من نثار ذهبي تُكتب به الأحداث
والحادثات، وتعلو به المعاني، والمباني، كيما يتجلى الغنى
البديع !

هذه كتابة الشاعر د.راتب سكر، عن سيرة الشاعر
د.أيمن أبو الشعر وكتاباته الشعرية والقصصية والمسرحية

وترجماته، كانت مقارباتها أشبه بمقاربة المسافر الذي ينشد
 قرية تلوّت بها الدروب ودارت، فأخفتها التلال وطوتها،
 وَصِيقت عليها الأحراش والأدغال، فاتسعت الحيرة وامتدت،
 فكلما بدا طرف منها ضجّ القلب وابتهج، وكلما غاب ..
 ارتجف القلب، وجفلت الهدب، وجلجلت التتمتات، ففي هذا
 الكتاب تربخ روح الشعر في النثر والشعر معاً، مثلما تربخ
 المحبة وتمتدّ من العتبة حتى آخر نهنات الكلام!

هنا، أقبض على لحظة محبة نادرة، هي عادة بعيدة
 ونائية، وهي عادة عصية وغامضة، وهي عادة تحتاج إلى
 تعريف لكثرة جاهيلها، فأنا سارد، أعرف قرى السرد قليلاً
 فحسب، أمّا أسرار الشعر فهي ليست تحت يدي، ومفاتيحها،
 إن رأيتها، لا أعرفها، ودروب الشعر زلّاقة، إن مررتُ بها،
 يجفل بي قلبي، ولا تهبّ رياحي، ولا يصير قلقي حبراً، وإن
 عبرتني طعومها غيوماً لا أعرف لذاتها، وإن مسني نورها لا
 أعرف كيف أشهق!

-2-

هذه لحظة محبة نادرة، أقبض عليها بكفي، لأن صديقي
 الشاعر د. راتب سكر، استأنس رفقاً بظلال كلامي فأفأء إليّ

كي أكتب أسطراً تمهد لما قاله من كلام رحيب عن ضفتين اثنتين تخصان الشاعر د.أيمن أبو الشعر، الأولى هي سيرة حياته التي واقف فيها نشأته في البيت الشامي الذي يشبه عشا ناحلاً معلقاً على ذراع علوة المهاجرين قرب العلوة الكبيرة لجبل قاسيون؛ نشأته بين أترابه في الحارة، وبين أترابه في المدرسة، ونشأته بين حنان غامر من الوالدة، ونظرات الرضا من الأب الناصري الذي شغل عضوية مجلس الأمة في القاهرة، ونشأته بين كتب التراث الثقيلة ذات الأغلفة الجلدية الزاهجة بالعناوين النحاسية، وكتب الآداب الحديثة، والإبداعات الجديدة من تأليف أنور العطار، وشفيق جبري، وبدوي الجبل، ومحمد البزم، وعلي الطنطاوي، وكوليت خوري، وسلمى الحفار الكزبري، وحنا مينة، وعلي الناصر، وأروخان ميسر، وخير الدين الأسدي، ونجيب محفوظ، ومحمود تيمور، وطه حسين، وعباس محمود العقاد، ويوسف إدريس، وبدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، والبياتي، وكتب الترجمة، التي نقلت آداب الغرب والشرق، مثلما نقلت كتب الفنون والفلسفة والنقد.

أما الضفة الثانية للكتاب فهي سيرة المدونة الأدبية التي كتبها أيمن أبو الشعر: شعرا ومسرحا وقصة وترجمة، وهي

سيرة تاريخية للنصوص في ظهورها وحضورها، والدواوين والكتب المنشورة بحسب أزمانها وعديد طباعاتها، وهنا تتمثل دقة هذا التتبع وترادفه من قبل الصديق العزيز راتب سكر، فهي سيرة ليست انتقائية لبعض النصوص أو بعض الدواوين، أو بعض الأحداث والمناسبات، ذلك لأنه أردنا أن يضع كتاباً ثقيلاً في معناه، وظليلاً في حضوره، ووافياً ضافياً في شموليته، والحق أنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا وواقفها ليجلو أهميتها ويبيد دورها في تخصيص الحياة الشعرية عند أيمن أبو الشعر، وما أضافته وأبدته من علامات أسهمت في إعلاء مداميك الحضور الفني لصنيعه الشعري.

هاتان الضفتان: سيرة الحياة، وسيرة الشعر متقدما أخواته المسرحية والقصة والترجمة في تجربة أيمن أبو الشعر الأدبية، رابختان بتفاصيلهما هنا في هذا الكتاب، بتفاصيلهما هنا في هذا الكتاب، ولأن الكتب تشبه الحياة في ثنائياتها، من فرح وسرور، وضوء وعممة، وجلاء وغموض، وخوف وأمن، وولادة وموت، وخصب وقحل، وحب وكراهية، وأمل وقنوط، وأبواب ومفاتيح، وبدايات وخواتيم، ورجاءات وهواجس،.. فإن هذا الكتاب وجه آخر للحياة، فهو يكتب أحداثها وحادثاتها

بكاءٍ ومرارةٍ وخوفاً وندباً وأسى مرّة، ويكتبها فرحاً، وابتهاجاً، وقبولاً، وسعادة، وأشواقاً، وأحلاماً مرّة أخرى، لا إمالات أو انحناءات أو مراوغات أو مجانبات أو ما يشبه التغير أو الخديعة في هذه الكتابة لأن الشعر أشبه بالذهب، عفواً، كدت أقول هو الذهب، فكلما غُمس في الجمر ولت خبائثه وانتقت، لأن الشعر مثل الذهب قيمةً، ومعنى، ولوناً، ورهجة، وسحراً، لأنهما معاً من دارة واحدة هي دارة الأسرار والاعتبار!

واستباقاً أقول، إن المحبة التي عُرف بها راتب سكر هي الروح التي تشيع في صفحات هذا الكتاب، فلا شيء مكتوب هنا بغير المحبة، ولا شيء يبدو في هذا الكتاب سوى هذه الشاعرية الفخيمة التي حملت أيمن أبو الشعر على راحتها طوعاً، منذ مطلع قصيده الأول ...

-3-

بدءاً، وقبل الجولان بين تضاعيف هذا الكتاب، أقول لقد اتخذ صديقي راتب سكر مركباً صعباً ليحدثنا عن المدونة الأدبية لـ أيمن أبو الشعر، هذا المركب هو مركب فن السيرة ليتقنى بذلك دروب أهل المغامرة من أمثال دوستوفسكي (1821-1881) الذي كتب (ذكريات من منزل الموتى)

ليحدثنا عن الحياة العجيبة ذات الوجه الشاحب التي عاشها في أحد معتقلات سيبيريا، وهذه الكتابة ليست سوى سيرة للمكان / المعتقل، وسيرة للحرية / الغائبة، وسيرة للموت /الباطش، وقد سمى النقاد هذا الكتابة بالرواية، وهي عندي كتابة تنتمي إلى فن السيرة، وكذلك كتابة الفرنسي (هنري ترويا 1911-2007) الرائعة التي دعمت فن السيرة، وجعلته جنساً أدبياً ينافس أجناس الأدب الأخرى (رواية، مسرحية، قصة، شعر.. إلخ) حين كتب عن مشاهير الأدب (بلزاك، وفلوبير، ودوستويفسكي..) ليجلو بهذه الكتابة الغموض الذي شاب حيوات أدباء وأعلام كثرة، وملاً بالمعلومة الكثير من الثغرات التي عرفتها حيواتهم، راتب سكر، وفي هذا الكتاب (وله تجارب مماثلة في كتب سابقة صدرت له) يدعم فن السيرة بوصفه جنساً أدبياً على غاية من الأهمية والحضور، لأن فيه ساحات واسعة للطراد الإبداعي، واستعراضاً لخصائص الأدب ومميزاته، فعبر (فن السيرة) تتجلى مهارات أهل الفن، مثلما تتجلى الفنون نفسها، وتبدو لنا الصعاب والعقبات التي واجهت

الكاتب وهو يعمل على حفره المعرفي ليصير الكلام ضوءاً،
 مثلما تواجه الصخور العنيدة حفاري الآبار العميقة، هنا، في
 كتابة (فن السيرة)، ثمة تعب، ولكنه جميل، وثمة مشقات،
 ولكن خواتيمها بهيجة، وثمة زفرات وأثات، ولكن طعومها
 طعوم الفرح، وثمة مستبطنات، يكاد الكشف عنها يكون ظفراً
 بمفرده، (فن السيرة) ولكثرة متطلباته، فن صعب، دروبه
 محتشدة بالضباب، وطويلة، عدا عن أنها كثيرة الالتواء
 والانعطاف، ولهذا لا يقاربه إلا الكاتب المكين الذي تحلّى
 بصفة العارف الذي يمتلك قلباً حاراً، وعزماً جلوداً، ومثابرة لا
 تعرف القنوط، وقد قال الناقد د. إحسان عباس، وهو يقعد لهذا
 الفن الجميل: "سالكو هذا الفن قلة لصعوبته، ومريدوه كثرة لكن
 إمكانية تظهيره شاقة وعويصة، وصدق مكتوبه له عقابيل لا
 تخلو من ألم ممرض، أو سؤال شوكي واخز، ولكنه هو الجنس
 الأدبي الذي يتقدم بخطوات تشد أزرها أمور ثلاثة هي: الثقة،
 والموهبة، والثقافة، ولا يظنن أحد أنه فن سهل، وأنه في
 متناول اليد، لا، إنه فن صعب، بل شديد الصعوبة، وهو فن

غير مخصوص بحياة الكائن البشري وحده، وإنما هو فن السيرة للمكان وتطوراته، والتاريخ وأحداثه، والمدينة وتشعباتها".

بلى، فن السيرة، من أخطر فنون الأدب، ومن أجملها أيضاً، وأحسب أنه الجنس الأدبي الذي سيتصدر أجناس الأدب المعروفة كلها، بما في ذلك الرواية التي تشهد، في هذه البرهة الزمنية، وقتها الطيب! وقد تعارف الناس، وعاشوا ومنذ أزمان، وهم يظنون أن (فن السيرة) مقصور على أهل الجاه والمكانة والحضور ليكتبوا للناس خلاصة تجاربهم، أو ليجيبوا عن أسئلة عاشت طويلاً وهي تبحث عن إجابات، ولكن هذه الظنون هي ظنون فحسب، لأن السيرة التي يكتبها أصحابها تعاني من ثغرات كثيرة، وصفات غير حميدة، وانقطاعات متعددة، وثغرات كبيرة، وانعطافات رابعة، أما (فن السيرة) الذي يكتبه العارفون عن الآخرين أصحاب المدونات والحضور، فهو فن، قليلة هزّاته، نادرة ثغراته، جمة محبته، وحاضرة صدقيته.

ولعلي بقولي هذا، أصف كتاب أخي راتب سكر لأنه
يتصدى بصدر العارف لكتابة سيرة نايفة تدور حول أيمن أبو
الشعر ومدونته الأدبية.

- 4 -

لعل القارئ الذي سيماشي صفحات هذا الكتاب، سيتساءل، وهو محق، أين هي مكانة الشاعر أيمن أبو الشعر بين أقرانه، وأين هي رتبته وجولاته في الزمن الذي عاشه، وما هي مصدرية ثقافته، ومن هم الشعراء الذين شكّلوا مرجعيته، أو هؤلاء الشعراء الذين جعلوه يشق مذهب الشعري المشابه أو المغاير للمذاهب الشعرية التي عرفها زمنه الشعري، ولاسيما زمن تكوين شاعريته وتبلورها بل ربما تساءل القارئ عن الأسباب والموجبات التي جعلت قصيد أيمن أبو الشعر ينوف على قصيد مجاليه من الشعراء، أو يسبق في الحضور السابقين عليه في التجربة، ومن بعد لماذا اكتظت قاعات الشعر بالخلق عشاق الشعر والثقافة حين يكون شاعر المنبر هو أيمن أبو الشعر؟!

كلّ هذه الأسئلة واردة، ومحقة، وضرورية، لأن السؤال الجيد كشاف لكلّ مستبطن دفين، ولعل التفكير بهذه الأسئلة

من قبل أخي راتب سكر كان أحد الأسباب الجوهرية لكتابة هذا الكتاب ودورانه الألوفا حول مدونة أيمن أبو الشعر الشعرية، لأن السيرة الذاتية المهمومة بالحياتين الاجتماعية والسياسية تبدي الكثير من الأجوبة عن أسئلة مضمرة أرادت الكشف عن شغف أيمن أبو الشعر بالشعر والثقافة معاً، فهو من بيت عزيز في اجتماعيته، وعزيز في رؤاه الوطنية والقومية، والكتب فيه ليست للزينة أو الصورة الخادعة، فذات أيمن أبو الشعر، وكما عرفها راتب سكر، هي ذات ممتلئة بالروح الدمشقية التي تعرف معاني الحضارة وغاياتها ، حضارة السلوك، والعمران، والكتابة، والزراعة، والصناعة، والتعامل، والمحبة، وقبول الآخر أيًا كانت صبغته وهويته وقدراته، أيّ حضارة القيم المتطلعة نحو أمرين اثنين هما: النبل والسمو، وهو أيضاً أعني أيمن أبو الشعر، ابن البيت، ابن ثقافته المتجلية في التقاليد، والعادات، والأعراف، والتصورات، ولعل أبدأها من الناحية الفكرية الاعتزاز بالروحين

الوطني والقومي، لأن الكتب، والتواريخ، والحكايات،
والقصص، والروايات، والقصائد المشفوهة والمدونة كلها، حافلة
بصور الظلموت الذي عرفته البلاد العربية منذ أن غربت
شمس بغداد على يد المغول والتتار وصولاً إلى زمن
الانتدابات الأسود!

بقولة أخرى، أساتذة أيمن أبو الشعر، ثلاثة هم: البيت،
والمدرسة، والكتب! وكل هؤلاء، علموه أن المحبة هي القيمة
الأكثر سموً وعلواً، وفي جميع الأزمنة، إذ لا بدّ من المحبة في
الأزمة الموحشة لطرد الوحشة وخلّاقها!

ومن حقّ القارئ لهذا الكتاب أن يسأل أيضاً أين هم
شعراء عقد السبعينيات من القرن العشرين المنصرف؟! أيّ
العقد الذي برز فيه أيمن أبو الشعر، فهم غير بادين أمام قامة
عالية مثل قامته! وهذا سؤال مهم جداً، لأن الحديث عن أيمن
أبو الشعر منفرداً ليس من أجل تمييزه وحده، وإنما من أجل
الإشارة إلى الشعراء الآخرين أيضاً، فمن منهم هو المهم شعرياً

في المكانة والحضور، ومن منهم هو الحاضر بين معاصريه من الشعراء، فحضور جلامش وقوته تجليا وشعًا أكثر حين أبدته مرآة أنكيديو صاحب الحضور والقوة أيضاً، وهكذا كان شأن أيمن أبو الشعر، وهذا ما أكده راتب سكر حين تحدث عن جمهور شعر أيمن أبو الشعر الذي لم يعرفه شاعر معاصر لأيمن أبو الشعر، متقدم عليه في التجربة من ناحية الزمن، أو متقدم عليه من ناحية الشهرة والمعروفية، وهنا يقول راتب سكر إن الجماهيرية الشعرية التي عرفها أيمن أبو الشعر لم تكن الميزة الأبدى لحضوره الشعري، وإنما كانت قصيدته هي الأبدى بأقنوماتها الثلاثة: المعاني، والمباني، والغنى، فجماهيرية أيمن أبو الشعر في قصيده ليست جماهيرية مسيسة تابعة لتيار معين محدد، ولا هي جماهيرية مضللة، أو ساذجة، وإنما كانت جماهيرية تتباهى بثقافتها، جماهيرية حافظة لقصائده، فهو حين يرتبك، أو يتباطأ أو يستغلق عليه في تتميم القول الشعري، تنبيري جماهيريته إلى

تتميم سطره الشعري، وهذه سمة لا يمكن أن تتحلّى بها جماهيرية ساذجة أو مضللة ، فمن يروم الحفظ لا يحفظ إلا ما أحبه و تأثر به! مع أن هذا الأمر لم يكن أمراً خاصاً بجماهيرية أيمن أبو الشعر وحده، لأن محبي شعر محمد الحريري كانوا يحفظون قصائده أيضاً ويطلبون منه سماعها، لأن قراءة محمد الحريري لها كانت تضيف للقصيدة ما لا تضيفه قراءتها في الديوان، وهذا ما كان يحدث أيضاً في أمسيات أيمن أبو الشعر، و خلاصة القول هنا أن أيمن أبو الشعر كان شاعراً بادياً في سبعينيات القرن العشرين الماضي، وسط شعراء أثت كلٌ منهم فضاءً خاصاً بشعره، وأحسب أن ذلك العقد كان العقد الأكثر غنى وحضوراً بالشعر والشعراء في بلاد العرب المعروفة ثقافياً، أعني عواصم الثقافة العربية آنذاك: بغداد، ودمشق، والقاهرة، وبيروت، لا بل كان الزمن الذي بشرّ بسرد عربي متعدد ومختلف وغني أيضاً.

بدت مكانة أيمن أبو الشعر بين شعراء عصره، ولاسيما في الربع الأخير من القرن العشرين، جلية واضحة ليس عبر هذه الجماهيرية التي أيّده، فجعلت من المقاهي مكاناً يحتفي بشعره، وإنما كانت جلية ظاهرة من الحذق الإبداعي الذي اخترم قصيدته فأغناها بالحدة، والثقافة، والخيال الطواف بالأمكنة والتواريخ، وللتمثيل أقول إن قصائد كثيرة كتبها شعراء العرب عن استشهاد رئيس أركان الجيش المصري عبد المنعم رياض في أواخر الستينيات، ومنهم الشعراء المصريون، وبعضهم كتب قصيدته باللهجة المحكية لتكون أكثر تأثيراً وقرباً من الناس، غير أن القصيدة التي كتبها أيمن أبو الشعر عن حادثة الاستشهاد نفسها ظلّت في مقدمة تلك القصائد لأن العاطفة سربلتها، والمعاني زينتها، والغنى أشبع سطورها بالضوء، والصور المجتابة من خيال معافى جالت في أبياتها حتى جعلتها قلائد راهجة، وسوف نجد مثل هذا الأمر جلياً أيضاً، حين نتقدم في المتابعة لنرى ما كتبه أيمن أبو الشعر عن الطفل الفلسطيني الشهيد محمد الدرة، وقد كتبت حول استشاده آلاف القصائد، لكن بقيت منها قولة أيمن أبو الشعر.. الشعرية التي تُوَخي بين الاستشهاد والرؤى:

العصفور الوداع يتقمص طفلاً

يركب دراجته ويمضي

في أحضان البيارات

يتسلق أشجار حكايات الجدة

ثم يشدّ ضفائرها

في أغصان الفرح

أراجيح الضحكات

والصبيّة ما زالت تدلف كي تلقاه

مضيئاً في الحارات

والأم الثكلى

سوف ترتب مرقدته كلّ مساء

وتصبّ له صحن حساء كلّ عشاء

وتلم دفاتره

ثم تبعثرها كيف يشاء

لم يكتب بعد وظيفته

فيكيف تصدق أن قد مات!

وكذلك القصائد العربية التي قيلت في انتفاضة الحجارة

الفلسطينية، في عامي 1987، و 2000، كانت كثيرة لكن

القصيدة التي كتبها أيمن أبو الشعر بعنوان (ناول شقيقك يا
 عمر) ظلّت القصيدة الأبدى، ليس لأن طيها صرخة الألم
 الفلسطينية التي عمرها عشرات السنوات فحسب، ولا لأنها
 محتشدة بالحلم والتفاؤل فحسب أيضاً، وإنما لأنها القصيدة
 النشيد الذي يملأ العقل والقلب بعافية الشعر:

خزّن حجارتك النّدية للمدار

فأنت خاتمة الصلاة

وأنت فاتحة السور

ناول شقيقك يا عمر

الآن أو من أن قرص الشمس

قد أمسى على مرمى حجر!

وكل قصائد التناص مع العقائد، والأخبار، والقصص،
 والأحداث، وما أكثرها، كانت وهّاجة، وذات قدرة عظيمة على
 طيّ الأزمنة من أجل الزمن الحيّ الخصب، ولكن هاكم هذا
 التناص الذي أبدته قصيدة أيمن أبو الشعر المكتوبة تحت
 عنوان (هكذا عيسى تكلم)، عن زمن عمره ألفا سنة وأزيد
 ،وفي القصيدة إسقاطات آلام السيد المسيح وما يعنيه أحفاده
 الفلسطينيين اليوم، وفي القصيدة قبله يهوذا وما يقابلها اليوم

من قُبَل شبيهة، وكذلك فيها طيوف الخيانة وصورها، والديك،
ودنانير الفضة، والنكران:

لا تتبعوا الفجر حتى إن تراءى

من غيوم الغدر أظلم

إنني الصدق أقول:

أيها الآتون في العيش المعذب

أيها الآتون في الموت المرقم

ليس من ماس يضاھي

كفّ طفل يجمع الأحجار في جيب المخيم

قبله للطهر منجم

هكذا، والله أعلم

هكذا عيسى تكلم

في هذه المقاطع الثرية التي أوردتها للتمثيل .. لا تبدو
الأزمة والأمكنة والأفعال والرؤى والإرادات والأحلام فحسب،
وإنما يبدو الحذق الشعري الذي لولاه لصار الشعر نداءات
يتبارى في إطلاقها باعة الأسواق.

وبعد، حسبي أن أشير في خاتمة هذه الأسطر إلى أهمية هذه المناددة الجليلة في هذا الكتاب الثمين، بين روحين شعريين، أولهما هو روح قصائد أيمن أبو الشعر، وثانيهما هو روح الاستبطان والرؤى التي حبرها راتب سكر بذوب محبته كيما تكون هتاف قلبه الترحيبي بالشعر الجميل، وأخواته: المسرحية والقصة والترجمة، والمكث الأبد للفن الذي صاغته حواس أيمن أبو الشعر التي حباها الله بالتفرد، والنورانية، والسحر الحلال.

د. حسن حميد.

أيمن أبو الشعر بين روزا لوكسمبورغ وساحة العاصي! د. راتب سكر

الفصل الأول

على أبواب "فن السيرة"

هذا هو عنوان مشروع كتابي الجديد الذي تنقلت حروفه بين محطات من سيرته متنوعة الصلات بوقائع الحياة الواسعة، وما يتجلى فيها من مؤثرات الثقافات المحلية والعربية والعالمية.

تجربتي المتواضعة في مضمار "فن السيرة" قديمة وطويلة، فقد تضمن كتابي "أسماء على ضفاف العاصي" (1999)، و"عبد الوهاب الشيخ خليل شاعر وإنسان من ربوع العاصي" (2010)، ما كتبتة في سير عدد من أدباء حماة مثل: "إحسان هندي، وسهيل عثمان، وعبد الرزاق الأصفر، ومحمد عدنان قيطاز، ومحمد منذر لطفي، ووجيه البارودي، ووليد قنباز، وغيرهم"، كما تضمن باب "شخصية

العدد" في مجلة "الموقف الأدبي" منذ انطلاقة باقتراحي المتواضع قبل نحو اثني عشرَ عاما، ما كتبه في سيرة كلِّ من الأدباء: "د. الطاهر أحمد مكي، وعبد الوهاب الشيخ خليل، ود. نذير العظمة، وياسين فرجاني" وغيرهم.

تأثرت في صلاتي ب "فن السيرة" بما قرأته من مؤلفات التراث العربي، والتجارب الأجنبية، ولاسيما تجربتان، أولاهما تجربة رسامة البورتريه الشهيرة إليزابيث فيجيه - لوبران (Elisabeth Vigée- Lebrun 1755-1842م) الفرنسية، التي رسمت الملكة أنطوانيت، ومشاهير باريس سنوات، قبل اضطرارها للفرار من باريس بعد تنالي وقائع 1789م، وتنقلاتها ترسم مشاهير بلجيكا، وإيطاليا، وألمانيا، والنمسا، وبريطانيا، وروسيا ... وثانيتها تجربة الكاتب الفرنسي هنري ترويا (1911-2007)، الذي كتب في سير بلزاك وفلوبير وزولا وبودلير وغوغول وغيرهم ...

يبدو أن "فن السيرة"، بات يشعر بضرورة تنامي حضوره، في مواكب الآداب والفنون وأصحابها، فيستعين بهويّة أخته الكبرى "الرواية" التي اشتهر بحبها هنري ترويا منجزا بكتابته المتميزة سير عدد من أهم من أعلامها

البارزين، فرنسا وعالميا، في كتب وضعت "فن السيرة" في مصاف الأجناس الأدبية الأخرى في القرن العشرين، كما يستعين بأخيه التائه فن "البورتريه" الذي تشرّد بين العواصم مع إليزابيث فيجيه - لوبران، بعد مآسي صديقتها ماري أنطوانيت ومحبيها وألأفها ...

وها أنذا أفتح بيد صغيرة مرتعشة، باب "فن السيرة"، واضعا دراستي المتواضعة حول فنية الشعر والمسرح والقصة والترجمة على منضدة قريبة من يدي، لأقف وجها لوجه: مع سيرة صديق يريد تحويل العالم إلى طقوس لمتكئ للرؤى الحالمة، ومثقف رهيف الجناحين، تتبعت لفتات قصائده، وصراعات شخصيات مسرحياته، ومصائر شخصيات قصصه المسكونة بهواجس لا تنتهي، وتنوع مسارات ترجماته الشعرية والقصصية والنقدية، على دروب تعصف بها رياح التيه، ولا يجد السائرون فيها من سبل لاتقاء أذى أصحاب الأذى بغير القصائد، والمسرحيات، والقصص، والترجمات، أو الدعاء، أو التواري خلف شجرة على مفرق طريق، أو جدار متهدم عتيق، ذي سمرة حانية تشبه سمرة أخت لها في بيت العائلة القديم، الذي سكنه يوما محمد خيرى أبو الشعر

ورفيقة دربه لمعان تلماز، في حارة الأولياء من حيّ "السكة"
العريق من منطقة العفيف في المهاجرين بسفح قاسيون،
بيت صاغ طفلهما الذي سمّياه "أيمن" من حروف حجارتة
الأولى، وطمأنينة الساكنين إليها، مشاريع قصائده
ومسرحياته وقصصه وترجماته وصادقاته، قبل أن تصبح
مانحة السكنية والمواد لكثيرين - كنت واحدا منهم - .
{الصورة: "رسامة البورتريه الفرنسية اليزابيت فيجيه -
لوبران بريشتها"}

الفصل الثاني

نائب وحدوي منكسر وطفل حالم!

كان أ. محمد خيرى أبو الشعر (1911-1996) في الخامسة والثلاثين من عمره، عندما رزق مع رفيقة دربه لمعان تلماز (1918 - 1996) بطفل جديد سمّاه "أيمن" عام 1946 ...

درج الطفل في حارة الأولياء من حيّ "السكة" العريق من منطقة العفيف في المهاجرين بسفح قاسيون، يتعلّم أبجدية حبّ الوطن، والإيمان بجوهر انتمائه العربي، مما يتلاحق من صور بين منزله ومدرسته الابتدائية وبساطة الناس، في الحارة والحي ...

كان يرافق أمه وأباه في زيارتهما إلى أهلها في حي الصالحية، وأهله في حي الشاغور، وسرعان ما صار الطفل يقوم بذلك من دونهما، فيقطع المسافة الطويلة فرحا بمغامرات الطريق، ليجد في معاملة عمّه مختار "الشاغور" عالماً تتأسس به بداءة وعيه لقضايا الشأن العالم ...

ها هو ذا في العاشرة من عمره يتابع حماسة أبيه،
وتفاعله مع أقرانه في حشود الأهالي، مناصرين بهتافاتهم
العالية مصر ورئيسها الأسمر المحبوب جمال عبد الناصر
في مواجهة العدوان الثلاثي سنة 1956 ...

هذه الحماسة أخذت بعد عام وبضعة أشهر مداها، في
شباط من عام 1958، مع خطاب قصر الضيافة الشهير،
الذي غاب شاعر المستقبل الطفل وهو في الثانية عشرة،
عن مدرسته مع مجموعة من صبية الحي لمتابعته، معلنا
قيام الوحدة السورية - المصرية ...

أصبح ذلك الأب الأسمر في مؤسسات الوحدة الجديدة
نائبا عن حي الشاغور الدمشقي العريق، حي دائرة نفوس
العائلة، عضوا في مجلس الأمة، يسافر من حين إلى حين
إلى القاهرة العاصمة مشاركا في اجتماعات المجلس، ويضع
صورة رئيس الجمهورية العربية المتحدة في صدر غرفة
الاستقبال من منزل العائلة، التي ستحافظ على مكانها في
منزلها الجديد قرب السفارة الفرنسية في دمشق، حتى إذا
رحل ذلك الأب في الأول من أيار سنة 1996، استمرت تلك
الصورة في مكانها، وفاء لذكرى الأب صاحب منظومة القيم

التي ظلت مؤثرة في وجدان ابنه الشاعر، ورؤى إخوته،
ووفاء لذكرى الجمهورية العربية المتحدة بعد مرور عقود
طويلة على انقراط عقدها ...

واجه ذلك الأب إطلالة يوم الانفصال في 28 أيلول
1961، بحزن لن تشفى جراحات انكساراته، وراحت صحته
تتدهور بين ظلال ما خيم على وجوده من خسارات مراهناته،
وعثرات خيباته، مكللة بمشاعر الأسى ... بينما راح ابنه
أيمن يكتب مع صديق من أترابه في مساء شتائي بارد على
جدار بناء قديم بطلاء ملون: "عاشتْ الجُمهُوريَّةُ العربيَّةُ
المتَّحدَةُ!" ...

تابع دراسته في إعدادية "بور سعيد"، التي حملت اسم
المدينة العربية المصرية التي تركزت فيها المواجهة بين
المقاومة الشعبية والمظليين الأجانب الذين هبطوا من طائرات
عدوان خريف 1956، وراح شرح الاسم الجديد وأسبابه
يفعل فعله في تكوين وجدان ذلك الطفل وحواراته مع أقرانه

...

الفصل الثالث

وداعا أيتها الأخت المثقفة الطيبة

تراكمت سطور ما يخطه تلميذ المرحلة الإعدادية أيمن أبو الشعر في مطالع الستينيات ضاماً أصابعه الصغيرة على القلم، ليقراً من حين إلى حين على مسمع أخيه مأمون الذي يصغره بثلاثة أعوام كتاباته الشعرية الأولى، بينما تشجعه أختها ليلي التي تكبره بستة أعوام، وترفده بملاحظاتها وتوجيهاتها الثقافية المرهفة، مؤمنة بمواهبه، حانية على انفعالاته، رفاً وحناناً لن ينضب معينهما على مدارج الأيام المتلاحقة، ما عزز مكانتها النورانية من روحه ووجدانه ...

كانت مكانة تلك الأخت تتعزز يوماً بعد يوم ثقافياً واجتماعياً، فنتنامى ثقنتها بنفسها مع وظيفتها الجديدة وهي في

العشرين من عمرها مذيعة في التلفزيون السوري¹ بعيد تأسيسه
أيام الوحدة عام 1960 ...

وكلما انتقلت إلى وظيفة جديدة ونجاح جديد حملت معها
قبسا من مشاعر اهتمامها بأخيها الأصغر، ذلك الاهتمام الذي
راح يعزُّزُ على مدارج الأيام طوابع أمومية حانية، لم ينل من
همَّتها تنامي مكانته شاعرا وكاتبا ومترجما، حتى إذا قابلتها
في مكتبها موظفة مرموقة في وزارة الصناعة بدمشق، حاملا
بعض رسائل مسافر العائلة البعيد وهداياها في عام 1988،
أيام دراستي العليا التي عشت زمنها ناعما بمرافقته، لمستُ
مباهج تلك الطوابع، التي أثَّرتُ طبيعة صلاتنا اللاحقة بنورها.
استمرت صلاتنا في السنوات العشر اللاحقة، متعاونين
مَرَّاتٍ عِدَّة في متابعة طلبات أختنا د.أيمن الذي آثر استمرار
أعماله في الخارج، وهي طلبات يتعلق معظمها بطباعة كتبه
وتوزيعها، وإيصالها إلى معارفه الكثيرين في اتحاد الكتاب

¹- التلفزيون العربي السوري تأسس بالتزامن مع شقيقه التلفزيون المصري، فقد انطلقا
معاً في زمن الوحدة بين مصر وسورية في يوم واحد، في 23 تموز 1960.

العرب والأوساط الثقافية السورية ... وقد اطلعت في هذه المرحلة على كتابين من تأليفها يهتمان بقضايا المرأة والتنمية والحياة، فكان كتابها "المرأة العربية السورية في عملية التنمية، بين الواقع والطموح" محل مناقشات مع عدد من المهتمين بدراسات علم الاجتماع وقضايا المرأة، مثل: د. بلال عرابي، ود. أمل دكاك، وأ. سعاد بكور، وأ. بهيرة الأحذب، وأ. شكرية المحاميد ...

حان أجل تلك الأخت الطيبة مفاجئاً احتفاء العائلة بعيد ميلادها الثامن والخمسين في تشرين الثاني من خريف سنة 1998، فبكاها أخوها الشاعر بكاء مرّاً، ولمّا أصدر في السنة التالية ديوانه المهم "الثلاثيات" أهداه إلى ذكرها بكلمة مؤثرة، قال فيها:

"الإهداء: إلى الروح الطاهرة الحاضرة أبداً في ذاكرة كل من عرفها رمزا للإخلاص والحكمة والصدق والتفاني في سبيل

الآخرين، رمزا لكل ما هو جميل ورائع ونبيل، إلى ذكرى شقيقتي ليلي أبو الشعر" 1 ...

جاء هذا الديوان انعطافة مهمة في تاريخ كتاباته الشعرية، فبدت مثقلة بأحزان وجدانية ذاتية خاصة، سرقت من فارس المنابر اهتماماته اللاهبة السابقة بتحويل الشعارات النضالية وهتافاتنا إلى نسيج شعري ذي طوابع درامية يحتدم في سياقها الصراع المشهدي ليصل إلى خواتيم تكسر أفق التوقع، تاركة يد قارع الطبل الزنجي تارة، ويد القتيل صاحب المنشور السري تارة أخرى، ويد الشهيد دائما، مسبلات على صدور أصحابها، عروش كبرياء من ألق نوراني خاص

الفصل الرابع

1- أبو الشعر، د.أيمن، - الثلاثيات. شعر، تقديم د.توفيق سلوم، نشر خاص، دمشق، (74ص).

الشاعر محمد الحريري أستاذاً وصديقاً! ...

في الصف الأول الثانوي في "ثانوية الشرق الخاصة" في دمشق، وجد من مدرس اللغة العربية ذي الحضور الثقافي والإنساني الأسر الشاعر محمد الحريري (1922-1980) تشجيعاً مهماً، تتأغم مع توافق ملحوظ بين تطلعاته الفكرية المتنامية وتطلعات مدرّسه "الحريري" القادم من أسرة معروفة في حماة، بانفتاحها الفكري والثقافي على تيارات الحياة المعاصرة والجديدة، ذلك الانفتاح الذي وجدت أماراته آفاقاً ناهضة رحبة مع التحاق الحريري طالبا جامعيا في دمشق، وعمله مدرسا في ثانوياتها منذ مطلع الخمسينيات، منخرطا في نشاطاتها الأدبية والسياسية اللاهبة بشعاراتها، معمّقا صداقاته مع أدبائها الكثيرين، مثل شوقي بغدادى (1928- ...) الذي تعمّقت صلاته به منذ أيام دراستهما الجامعية معا، وهو الذي سيجمع قصائد صديقه الحريري بعيد رحيله، ويقدم لها بمقدمة

ضافية، لتصدر عن اتحاد الكتاب العرب عام 1985 تحت عنوان "ديوان محمد الحريري" 1 ...

وسرعانَ ما أصبح ذلك المدرس النابه المرح واسع الصداقات متنوعها وتلميذه النجيب صديقين حميمين، على دروب الشعر والمشاركة في الأمسيات الأدبية، والتعارف مع أدباء مختلفي المشارب والاتجاهات على شرفات الوجود وأحلامه الواسعة ...

وها هو ذا التلميذ القديم الذي أصبح اليوم ذا مكانة مقدرة في الحياة الأدبية في سورية وخارجها، يستذكر أستاذه محمد الحريري بعد رحيله بزمن طويل استنكار الوفي المشوق المحب، ويكتب:

"محمد الحريري شاعر مخلص ومتميز، كان أستاذي في المرحلة الثانوية، ويعود له فضل كبير في متابعة رحلتي الشعرية "انقضاضا" بفضل تشجيعه، من ثم غدا صديقي، وهو

1- صدر عن اتحاد الكتاب العرب ديوان محمد الحريري في 1985، جمعه وقدم له شوقي بغداداي.

حقاً مخلص شاعراً وصديقاً، يتميز بالطرافة، لكنه يظهر جدية عالية حتى حدود الآلام العميقة، وهو يولي القضايا الطباقية والإنسانية اهتماماً كبيراً ... ما زلت أذكر فيما أذكر من شعرك وذكراك يا صديقي وأستاذي، قولك:

"وتزايلتُ مع الحياةِ

فلن يُرى ثغراً إلى بسماطه ينقادُ

فالنيلُ دمعٌ والفراغُ مناحةٌ

والغوطتانِ تأوهُ وحدادُ".

وإذ أكتب هذه الكلمات السابقة أذكر أن أولى الأمسيات الشعرية التي شاركت فيها أيام دراستي الجامعية، كانت في ربيع عام 1976، عندما قبل الشاعر الحريري، بترتيب من صديقه القديم رئيس نادي "الرابطه الفنية" في حماة المحامي إيلان كلاس (1938-)، مشاركتي معه في أمسية ينظمها النادي ... وأنّ مقالتيين نقديتين مهمتين شجعنا بدايات تجربتي الشعرية المتواضعة، كانت أولاهما بقلم الأديب سهيل عثمان

(1932-1986) صديق الشاعر والمسرحي أيمن أبو الشعر الخصيص في مرحلة إقامته في حماة عام 1973، وكانت ثانيتهما بقلم الشاعر شوقي بغدادي، الذي تابعت معه رحلة الشعر، حتَّى كَلَّفني عندما اضطرته حالته الصحية إلى دخول المستشفى، بإلقاء كلمته في 6 تموز 2021، في حفل تأبين صديقنا المشترك فايز خضور (1942 - 2021)، وفي تلك الرحلة الطويلة جمعتني به غير مرة، دار الشاعر د. أيمن أبو الشعر العامرة بالمواد لضيوفها من الأدباء والكتاب والمتقنين ... فمحبتي لهذه الدار وأهلها، ولأصحاب هذه الأسماء الثقافية الراقية غير محدودة، ترنُّ في وجودي البسيط رنين أناشيد وفاء عالية...

الفصل الخامس

القائد عبد المنعم رياض

في مرمى مدفعية العدو! ...

انقطع أيمن عن متابعة الدراسة نحو سنة أو أكثر، مقيماً في لبنان، فاتحا عينيه على تجارب جديدة في حياته، مثريا وعيه بما يجري على الساحة اللبنانية من حراك فكري وثقافي واسعين ...

بدأت تجربته مع الفكر والشعر الحياة أكثر نضجا وتنوعا، بعد عودته من بلد الأرز وجبران، وراحت خطواته على دروب الكتابة تزداد رسوخا، متابعا دراسته الجامعية (1966-1971) في "قسم اللغة العربية وآدابها" من جامعة دمشق، التي كانت تضج بنشاطات فكرية وثقافية واسعة، بلغت ذراها مع ظواهر المسرح الجامعي، فوجد في هذا الفضاء مكانا مناسباً لمشاركاته في الملتقيات الشعرية، ووجدت قصائده، ولاسيما قصيدته عن استشهاد رئيس أركان القوات المسلحة المصرية عبد المنعم رياض (1919-1969) على ضفاف قناة السويس في حرب الاستنزاف، في 9-3-1969، استقبالا طيبا واسعا بين عارفه ...

شارك الطالب الجامعي أيمن أبو الشعر بعد هذا الاستشهاد بنحو شهر ونيف في اللقاء الشعري الطلابي السنوي للاحتفاء بعيد الجلاء في 17-4-1969، فقرأ مرثاته ضمن باقة احتفائه بذكرى الجلاء في مقاطع شعرية حققت نقلة نوعية في حضوره شاعرا، تأسست بها حالات التناغم بين البناء الفني والفكري والوجداني لخواتيم مقاطعه الشعرية، والتهاب أكف الناس بالتصفيق الحماسي، لكلمات تخاطب توثب أحوالها لحراسة أحلامها المهددة في انعطافات دروبها بالانكسارات والخيبات، يقول الشاعر في هذه القصيدة التي نشرها في ديوانه الأول "خواطر من الشرق"¹

"نيسانُ عرَّجُ إنْ ظمِنتُ لمصرنا	فيها الدماءُ منابعٌ وسيولُ
لن ينضبَ الإقدامُ فوقَ عربتي	ما دامَ يرفدُ شاطئها النيلُ
يرويكَ يا نيسانُ خضبُ مجاهدٍ	قربَ القنالِ شهيدنا محمولُ
في مصرَ أبطالٌ ثووا تحتَ الثرى	دقَّ النفيرُ بموتها وطبولُ

1- أبو الشعر، أيمن، - خواطر من الشرق. شعر، ص 46.

يا أسمرًا كحلَّت حسناء الفدا
مصرُّ العروس ومنعمٌ إكليؤُ
يلقاك رضوانُ الجنانِ بموكبٍ
زحم الملائك والندى متبولُ
فيقولُ أهلاً بالرجالِ لقد أتى
ربعُ الخلودِ مليكُها المأمولُ
نيسانُ أبلغُ منعماً إعجابنا
وبأنَّ زحفاً ثائراً سيصولُ"

مما لاشكَّ فيه أنَّ أبا الشاعر النائب الوجدوي القديم المنكسر محمد خيرى أبو الشعر قد نام قرير العين في آخر ذلك النهار، مطمئناً على ما وضعه في كفِّ ولده من جمرة إيمان يتغنى بجمرة "عروبة يرويها خضب مجاهد شهيد قرب القنال، يلقاه رضوانُ الجنانِ والملائك بموكبٍ".

ومن الراجح أن تلك الأخت الكبرى الجميلة الطيبة ليلى، التي صارت مذبة مع نشأة التلفزيون في دمشق والقاهرة في عام 1960 من زمن الجمهورية العربية المتحدة سرَّها، كما سرَّ أباهها، أن يكتب أخوها الصغير الذي استمرت تشجعه وتمنح كتاباته الشعرية ملاحظاتها الحانية، يعير عما يجيش في ضمير العائلة والمجتمع من مشاعر سامية

كنت أستعيد مع الشاعر على مدارج السنين اللاحقة التي جمعتنا، صورة ذلك الأب وأساتذة الطفولة كأنهم في جلابيب القديسين، وأسأله عن تعارض إرثهم الثقافي مع اندفاعاته اللاحقة في كتابة قصائد تستلهم شخصيات الغرب وثقافته، مثل سبارتاكوس وروزا لوكسمبورغ وغيرهما، فيجيبني إجابات تجتهد في تأكيد هوية انتمائه في حوارها مع ثقافات العالم وشخصياته، وإخائها معها، وأشعر بعمق سروره وبشاشة روحه وهو يسمع إطرائي على رؤاه، مع تشبثي الوجداني العالي بإرث أبيه وثقافة ماضيه

وفي عودة إلى هذه القصيدة، لا بد من الإشارة إلى رمزية الشخصية التي ترثها في تلك الأيام البعيدة، فبعد المنعم رياض (1919- 1969) رئيس أركان الجيش المصري، شارك مثل ابن جيله الرئيس عبد الناصر في حرب فلسطين عام 1948، وأبدى شجاعة في مواجهة العدوان الثلاثي عام 1956، وحرب 1967. أشرف على خطة تدمير خط بارليف، خلال حرب الاستنزاف، وسرعان ما بدا بعد التغيرات الكبرى

في تركيبة قيادة الجيش والدولة بعد نكسة حزيران في مصر أنه صاحب الاسم الأنقى في تعبيره عن مسارات الأمل والنقاء، ما عزز لديه عوامل الاندفاع والتفاني، فزار أكثر المواقع تقدما على الجبهة وسط الجنود، وانهاالت على ملتقاه معهم قذائف مدفعية الأعداء التي وجدت صيدها الثمين في مرماها القريب ... من الراجح أن تلك الصورة الفجائية لرحيل أحد سدنة الأمل والرجاء في أمة لم تتدخل جراح حزيرانها بعد، قد ارتسمت في قصائد شعراء كثيرين من أجيال مختلفة في تلك الأيام، كان أيمن أبو الشعر واحدا منهم!.

هذه الأحوال في استقبال الشعر والفنون الأخرى، تفسر للمتابع جانبا نفسيا غامضا من حالات استقبال عدد من الأفلام السينمائية العربية والأجنبية التي عرضت في سورية ولبنان في تلك الأزمنة المرة، وسط الشعور بارتباط الخلاص والكرامة والحب بالموت، وذاك الجانب كان يعبر عنه في تجربتي الشخصية بالذهول والصمت المطبق في حضور فيلم "زد Z" في سينما كابييتول في بيروت، أو في الدموع المبالغ

بها في متابعة مشاهد الموت والمقبرة في عرض فيلم "روميو وجوليت" في سينما حماة، أو في الدموع المسكونة بمسرات سرّانية في حضور فيلم "الموت حبا" في دمشق، وفي تداخل كل ذلك مع حكايات الفيلم المصري "أغنية على الممر" التي حولتها فرقة نادي الفارابي المسرحية في حماة إلى فضاء فني ثقافي فكري خاص: جمال الحياة وذكرياتها مقابل "الموت حبا" والاستشهاد في سبيل القيم والأحلام.

الفصل السادس

طالب جامعي

في مهب اتجاهات الأدب والفكر ...

وراحت دوائر صلته بأدباء الستينيات والسبعينيات البارزين في دمشق تتعزز عمقا واتساعا، وصارت السهرات في منزل عائلته تتحول إلى ما يشبه ندوات أدبية، يشجعها أبوه عندما يجد ضيوفها هوى في فكره ونفسه، فيسرّ بدعوة ابنه لأدباء معروفين بمواقفهم وعطاءاتهم المتميزة، من طراز محيي الدين صبحي (1935-)، وصفوان قدسي (1940-)، اللذين يكبر كل منهما ذلك الابن بسنوات غير قليلة، ويجدون ترحيبا واحتفاء من ذلك الأب الذي يكتشف في أحاديثهم ابتعاثا لأحلامه الكبرى التي كاد اليأس ينال منها، بينما يقبس الابن منها ما يمنح آفاق صلته بالكتابة ثراء يعزز قدراته على البناء الفني لقصائده على أسس سردية تعتمد كسر "أفق التوقع" كسرا تتامت أدواته يوما بعد يوم منذ بدايات تأثره

بأستاذه الشاعر محمد الحريري، مشكلة عنصرًا فنيًا مهمًا من عناصر تعزيز انتشار كتاباته بين مستقبلها ...

واستمرت صداقته مع كل منهم، على الرغم من تنامي تعلقه باتجاهات فكرية وسياسية تثير الخلافات حولها من حين إلى حين، فنُحِلَّ في كل مرة بطريقة مناسبة، بمثل قول محيي الدين صبحي له ذات يوم مازحًا: "أنت شاعر يساري تقدمي، وأنا ناقد يميني رجعي".

وتنوّعت حواراته مع الأديب صفوان قدسي في مرحلة رئاسته لتحرير مجلة المعرفة في مطالع السبعينيات، وهو يسهم في تشجيع الكتابات النضالية الهادفة ذات الروح العربية القلقة على مآل مشاريعها الكبرى، وقد عبّر الشاعر غير مرة في مناسبات لاحقة عن إعجابه بلغة القدسي المشرقة والتميزة، ونبرة صدقه في رصانة حواراته حول أحلام الإنسان العربي الذي بدا متشبثًا بجذوة مشاعلها مهما غلت التضحيات.

الشاعر العراقي عبد الوهّاب البياتي¹ (1926-1999م)، في إحدى زيارته إلى دمشق في الستينيات الماضية التقى طالبا جامعيًا، منخرطًا في الحراك الطلابي والاجتماعي منذ بداية تفتح وعيه السياسي والثقافي الذي واكب قيام الجمهورية العربية المتحدة عام 1958، وقد عززت دراسته الأدب العربي تعلقه بالطوائف الثقافية لذاك الحراك، فوجد في لقاء البياتي - الذي سبقته قصائده وأخبار عطائه الأدبي المتنوع الثر إلى شاعر دمشق الشاب - فرصة سانحة، تلبى تعلقه هذا، وقد راح يتماهى مع تفاصيل شخصيته يوما بعد يوم ...

كان البياتي الذي تجاوز الأربعين، يكبر الجامعي الشاب بعشرين سنة، فوجدا في التسكع في شوارع دمشق منابر لحوارات تتصل بتشجيع البياتي لحملة الأقلام الشباب، وبحماسة شاعر شاب للشعر والحب والحياة، حماسة عالية المكونات والأداء، سيكون لها، بعد سنوات قليلة من ذلك

1- شاركت في ندوة وزارة الثقافة في دمشق عن شعر عبد الرزاق عبد الواحد، عام 2008. وقد فتحت مشاركتي ببحث متواضع في دراسة شعره باب تعاون بيننا، وشاركت في إحياء ندوة أدبية حول سيرته وأدبه في ربوع العاصي، عمقت جوانب من معرفتي عن صلته ذات الصدامية مع بعض أدباء زمنه في العراق.

اللقاء، فضل جوهري في منح اسمه: أيمن أبو الشعر، ألقاً
أدبياً واجتماعياً من طراز خاص ...

ظلت محطة لقائه القديم في الستينيات مع الشاعر عبد
الوهاب البياتي تفتح له الأبواب من حين إلى حين لمناقشة
جوانب من خصوماته وخلافاته مع أقران نشأته ورحلته الأدبية
في العراق، ولاسيما صديقه الخسيس في تلك النشأة على
مدارج دار المعلمين العالية ببغداد، بدر شاعر السياب
(1926- 1964)، والشاعر عبد الرزاق عبد الواحد
(1930- 2015)، الذي كان يصغر كلا منهما بأربع
سنوات، وغدا واحداً من أبرز رموز الشعر العراقي¹، من دون
أن يتغافل حتى رحيله، عن قسوته في تناول البياتي وشعره
وسيرته ...

شكّلت صور تلك الخصومات مرآة غير منتظرة في
عكسها طبائع مغايرة لأفق التوقع في استحضار حالات أدباء
تحوّلت أسماؤهم إلى رموز للرسائل الاجتماعية والثقافية

1- شاركت في ندوة وزارة الثقافة في دمشق عن شعر عبد الرزاق عبد الواحد، عام 2008. وقد فتحت مشاركتي ببحث متواضع في دراسة
شعره باب تعاون بيننا، وشاركت في إحياء ندوة أدبية حول سيرته وأدبه في ربوع العاصمي، عمّقت جوانب من معرفتي عن صلته
الصدامية مع بعض أدباء زمنه في العراق.

الطليعية في الأدب العربي الحديث، وقد تابعت صور هذه المحطة المعرفية بقلق شديد .

لقد شكّلت هذه المحطة المعرفية الصادمة، واحدة من بدايات الدروع النفسية الواقية في الاصطدامات المتلاحقة لمكونات بنيتي النفسية الغضة، مع المواقف الغامضة لشخصيات أدبية عربية كبيرة، من زملاء وأصدقاء وظواهر، غموضا ما يزال يهز انسجام المشهد الثقافي العربي مع جوهر مكوناته، فاتحا الأبواب والنوافذ أمام غير هامشي من هامشيّ الفعل الثقافي في التسلل إلى مراكز قرار في ذلك الجوهر ...

برز أيمن أبو الشعر في مرحلة دراسته الجامعية شاعرا متميزا في كلية الآداب، وسرّعان ما انتقل إشعاع حضوره إلى غيرها من الكليات، آخذا من المقصف المركزي لجامعة دمشق، الذي حمل اسم الشهيد "الأزروني"، مركز حوارات وملتقيات شعرية صاخبة بشعارات القصائد المبنية فنيا بناء قادرا بمبناه ومعناه على التجاوب مع نبض الوقائع العربية، وإشعال لهب التفاعل بين جمهور الطلبة الجامعيين الواسع الذي كان في تلك المرحلة من التاريخ العربي، مرّجلا غليان واسع يستشعر بالقلق على مآل القضية الفلسطينية بعد انتقال

رموز قياداتها وحراكها إلى لبنان بعد أيلول 1970، وبعد مواقف الرئيس المصري الجديد أنور السادات المضطربة الضبابية، منذرة بما لا تحمد عقباه.

بدا واضحا أن حياته ارتبطت مصيريا ونهائيا بالأدب ومساراته، فصار لا يرى العالم إلا بنظارة الشعر والنثر، وغدا التسكع على أرصفة دمشق مع أدبائها، أو زائريها من أدباء المحافظات أو البلاد العربية، مصدر سعادته العليا، فتعززت مودّاته لكثيرين منهم، ومن ذلك تعارفه مع الشعراء العراقي عبد الوهاب البياتي، والسوداني محمد الفيتوري.

كان الشاعر أيمن أبو الشعر قد دفع بديوانه الأول: "خواطر من الشرق" إلى النشر فصدر عام 1971، وتلاه ديوانه "صندوق الدنيا" في العام التالي 1972، فتعزز بهما حضوره الأدبي المتنامي ...

الفصل السابع

أيمن أبو الشعر

بين روزا لكسومبورغ وساحة العاصي!

نقلته مرحلة خدمة العلم بعد الدراسة الجامعية إلى ربوع العاصي، فاتسعت قائمة صداقاته الطويلة لأسماء جديدة، من زملائه في الخدمة، أو من المهتمين بالثقافة والأدب في حماة، فتركت حواراته مع سهيل عثمان (1932-1986)، ووليد قنباز (1935-2005)، وعبد الرزاق الأصفر، ومحمد منذر لطفي، انطباعات وذكريات حميمة، وشارك في أمسية شعرية نوعية مع الشعارين وجيه البارودي (1906-1996) وسعيد قندججي (1931-1991) ظلّت أصدائها تتردد طويلا، بين معجب بقصيدته "قارع الطبل الزنجي" وهازئ بتوظيف شاعرها تقانات سردية ومسرحية في بنائها الفني، مثل لفظة "دمّ دمّ موسيقا يا بوم الشؤم" صدى لصوت طبل الزنجي المتهاك المريض ...

كتابته قصيدته "قارع الطبل الزنجي" الجديدة في حماة كانت عطافة مهمة في مسارات شعره، وقد جاء بناؤها الدرامي السردي المسرحي، تكتيفا لتجارب السنوات السابقة، وتأسيسا لأسس فنية جديدة ستسم قصائده اللاحقة، وبدأت شخصية الزنجي المحورية فيها رمزا عالميا للمقهورين في الأرض، وصدى لتنامي حضور أفريقيا ثقافيا بصورة قارعة طبول العالم، تتدغم شخصياتها المقهورة مع شخصيات قصائد وقصص وروايات متنوعة، ولاسيما شخصية "سائق العربية الأسود مع حصانها المجهد في الليل البهيم" في قصيدة شهيرة للشاعر محمد الفيتوري (1936-2015)، الذي سيجد في زيارته اللاحقة لدمشق صاحب هذا الصوت الشعري الصاعد قابض الكفِّ على مشروع فكري وثقافي عربي وإنساني طليعي، جدير بالصدقة الحميمة، ومن الراجح أن تجربتي الشعارين الفيتوري والحريري كانتا من أكثر تجارب معاصريه تأثيرا في تجربته ... هذه الرمزية الأفريقية السوداء، ستستمر مسموعة الصوت في المنجز الشعري الجديد، في العقدين

الماضيين، ومن أمثلتها المعبرة ديوان "الوجع الأسود" للشاعر
أنس بديوي¹ ...

وفي هذا الفضاء زار عضو مجلس الإدارة في نادي
"الرابطة الفنية" في حماة أ. جورج دوفش الشاعر أيمن أبو
الشعر في مقر خدمته في حمص عام 1973، وتداول
حوارهما تنظيم أمسية شعرية في النادي، وسرعان ما ألقى
فيها الشاعر باقة من قصائده الحماسية، ونظمت دعوة
عشاء احتفاء بالمناسبة في النادي العائلي، تميزت
مناقشاتهما باهتمام خاص بقصيدته "قارع الطبل الزنجي".

لقي الشاعر ترحيبا خاصا من رئيس النادي المهتم
بقضايا الثقافة والفكر المحامي إيان كلاس، الذي تربطه
بالشاعر محمد الحريري - أستاذ أيمن في الثانوي وصديقه
على دروب الشعر - روابط حميمة خاصة، فكان ذكر الحريري

1- د. أنس بديوي أستاذ في جامعة حماة، ولد عام 1975، صدر ديوانه "الوجع الأسود"
عام 2009 عن دار "الفرقان"، حلب، وحاز جائزة الدولة التشجيعية عام 2016.

منهما جسراً موظداً لألفتها، فضلاً عما وجداه من روابط فكرية ووجدانية عميقة تجمعهما ...

لم يكن لقاءه مع المسرحيين البارزين في نادي "الفارابي" بحماة سمير الحكيم (1948- 2003) وعادل فوزي شكري (1935- 2015) بمنأى عما تقدم، وكانا قد انتهيا من عرض مسرحيتهما المهمة "في انتظار اليسار" "Waiting for Lefty" وهي مسرحية من تأليف الكاتب

المسرحي الأمريكي كليفورد أوديتس¹ Clifford Odets سنة 1935، تتكون من سلسلة من المشاهد، التي تدور في إطار لقاء سائقي التاكسي الذين يخططون لإضراب، ويستخدم الموقف الإطاري المشاهدين ضمن اللقاء.. واستتبعت مناقشات هذه المسرحية العمالية العالمية، مع الشاعر أيمن أبو الشعر حوارات عميقة، وتعاوننا أثمر إخراج سمير الحكيم في نادي "الفارابي" العريق في حماة، لمسرحية

¹- كليفورد أوديتس Clifford Odets (1906-1963)، كتب هذه المسرحية عام 1935، وترجمها محمد أنعم إلى العربية، وصدرت ضمن سلسلة "مسرحيات عالمية".

أيمن "الأرنب الذئبي"، وتقديمها على مسرح نادي "الرابطة الفنية"، الذي ربطته بمخرجها ومؤلفها، روابط فكرية ووجدانية عميقة، وقد تحول العرض ذو الطابع الجماهيري إلى يوم مشهود في تاريخ النادي، استمرت مناقشات أعضائه ورواده زمنا طويلا تعيد ما جرى على خشبته من وقائع شعرية ومسرحية وموسيقية من جيل إلى جيل، وقد نعمت بمثل هذه المناقشات غير مرة مع أصدقاء كرام مثل: اليان كلاس، وجورج دوفش، ومنى جبيلي، وميخائيل سرور، وناجي شمة، ويوسف البني، وغيرهم ...

مسرحية "الأرنب الذئبي" قدمت هجاء قاسيا لرمزية شخصية "ليوس الأرنب" عنوانا لسماسرة بيع القيم والقضايا والأحلام، فتحوّلت عروضها على الخشبة إلى أعراس ثقافية حقيقية لم ينسها من حضر طقوسها حتى الآن بعد مرور خمسين سنة ... وتتالت تلك العروض في المركز الثقافي في حماة، وفي مسرح "القباني" في دمشق، وفي مسارح المحافظات، بأثة طقوس تمردها على نزعات الأثرة والشر

والعدوان في المجتمع، مانحة صرخات احتجاجها على تلك النزعات، وتأييدها قيم الحق والخير والجمال آفاقا وجدانية عالية الرؤى، يعلو ألقها ركود الحياة، معيدا من حين إلى حين، نور حكاياته، التي تجدد أحلام المجتمعات بوثبات نهضاتها ...

لقد ثبّت سمير الحكيم في هذه المرحلة من بواكير عطائه مخرجا مسرحيا، بعد نجاحاته ممثلا، أسس مشاريعه الإخراجية القادمة، كما نجحت كاميليا بطرس في عملها الثاني هذا، بعد دورها المهم في مسرحية "في انتظار اليسار" المشار إليها آنفا، لتصبح نجمة مسيرة المسرح في ربوع العاصي، كما نجح عادل فوزي شكري في هذا العمل مع ابنة له في دور طفلة صغيرة، في محافظته على استمرار تمكنه من الخشبة، وسيطرته على زمامها من مسرحية إلى أخرى ...

أما أيمن أبو الشعر مؤلف هذا العمل، فأضاف إلى مسيرة عطائه قوة هذا الثلاثي: سمير وكاميليا وعادل، مع

زملائهما، على دروب نجاح الصداقات والكتابات في مواكب تألق الحضور الاجتماعي، حتى إذا حان وقت عرض مسرحيته على مسرح "القباني" في دمشق، تحول العرض وما تلاه من حوارات وندوات وسهرات إلى مشهد ثقافي حيوي في عاصمة ذات ذاكرة ثقافية لا تنسى المسهمين في تنوير جذوتها من جيل إلى جيل ...

وفي غمرة هذه النجاحات المتلاحقة دعت وزارة الثقافة والإرشاد القومي" إلى حضور أمسية شعرية يلقي فيها الشاعر أيمن أبو الشعر "منتخبات من شعره" مساء 11 نيسان 1974، في صالة سينما "الحمراء"¹ في دمشق، فجاءت هذه الأمسية تتوجها، بحضورها المتنوع الثر، فمن أصدقاء طفولته، في منطقة المهاجرين وحي الشاغور، إلى جيل أساتذته يتقدمهم صديقه الأثيران لدى قلبه: الأديبان محمد الحريري (1922-1980) وجلال فاروق الشريف (1925-1983)، إلى أدباء وإعلاميين ومثقفين بارزين في

¹ - صورة البطاقة في ملحق الكتاب.

دمشق تلك الأيام، يشهدون إلقاء الشاعر قصائده الجديدة التي مزج في أبنيتها الفنية تداخل الفنون الشعرية مع فنون أخرى مثل الموسيقى، والرسم بالألوان، والمسرح والقصة، مزجا أخذ مداه في قصيدته "قارع الطبل الزنجي" التي باتت من مطالب حاضري أمسياته الشعرية النوعية على مدارج السنين ..

سهر أيمن أبو الشعر مع صديقيه سمير الحكيم وعادل فوزي شكري وآخرين، بعد عودتهم من عرضهم مسرحية "الأرنب الذئبي" على مسرح "القباني" في دمشق بنجاح كبير، في مقصف مظل على حديقة "أم الحسن" فوق نقابة الفنون الجميلة في ساحة العاصي بحماة، يعيدون حساباتهم مع مواسم المسرح والشعر والصدقات، ولم تخل السهرة من مناقشة بعض ما قيل وكتب عن المسرحية من آراء قاسية، وإذ طال وقت الحديث عنها، وكاد يسرق الفرحة بنجاح عروض المسرحية في حماة ودمشق، وجد أيمن أن قراءة الشعر قادرة بجناحيها الوثابيين على إعادة ما سرقه

استعراض آراء منتقدي المسرحية، من مباحج الشعور
 بنجاحها، فشرع يقدم لقراءته قصيدته "كروبسكايا" بمقدمته
 المعتادة عن "روزا لكسومبورغ"، محتفلا برمزية حضور
 المرأة في الكفاح وتحدي الظلم: فكرا وثقافة ونضالا، موردا
 أمثلة من عطاء المرأة الغربية في العصور الحديثة في هذا
 المضمار: ناديجا وروزا وأنجيلا ديفيس، لعلهن رموز
 منشودة لنساء الشرق المقهور:

"كروبسكايا"

مدي لي من صرخات القهر نشيدا
 وطني ينساب مع الألحان المجلودة بالأشعار
 يا عاشقة الخصب تهجي أحرفنا
 المكوية بالقحط لعل رمال الدرب
 تفتق عن سنبله أنثى
 تمنحني زاد الرحلة
 مري بخليّة أرضي كي تتعلم
 كيف يصون العاشق أهله

كي تتعلّم أننا أن الشهد هويّة خصب النحل
وليس اللدغ هويّة نحلة"1.

وتداخلت الحوارات حول عطاء المرأة في بلاد الغرب،
وكان مثال المناضلة الزنجية "أنجيلا ديفيس" ذائعا في
النصف السبعينيات، ورمز الزنوجة أثير لدى قلب الشاعر
العربي، في عقد السبعينيات، لذلك يمنح شاعرنا قصيدته عن
"أنجيلا" عنوان "الماسة السوداء"²، مستعيرا لاسمها معادله
"الماسة" وهي واحدة الألماس أعظم الحجارة النفيسة قيمة،
وأشد الأجسام صلابة، فهل أراد الشاعر منح الزنوجة
المضطهدة المذلة المهانة قيمة بين البشر، تعادل قيمة
أعظم الحجارة النفيسة، بين نظائرها في الوجود، أو تراه أراد
صلابة وقفة العز بينهم، كصلابة الألماس بين نظائره؟ ...
وهو في غمرة اختياراته، لا ينسى طبل قارعه الـ

أنجيلا ...

1 أبو الشعر، أيمن، 1979- الحب في طريق المجرة. طبع بالتعاون مع اتحاد الكتاب
العرب، دمشق، (161ص). ص 102.

2 أبو الشعر، أيمن، 1979- بطاقات تبرير للحب الضائع. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،
ص 13.

أنجيلا ...

الطبل يدق يدور الفرع النائم

يرقص حول النار

أنجيلا ...

ويطير النورس فوق الشط

ليرسم فوق الموج شعار

أنجيلا ..."

وطال الحوار سيرة تلك المناضلة الألمانية الشهيرة، وفجأة قال سمير بين الجد والمزاح: "هل كانت روزا تعلم أن اسمها الجميل سيكون يوما موضوعا للحوار في ساحة العاصي"، وسرعان ما أثار سؤاله ابتسامات الحاضرين، قبل أن ينظر أيمن إلى ساعة يده مذكرا الجميع بموعد صباحي قادم لمناقشة نص مسرحي جديد في نادي "الفارابي" القريب من الساحة، التي انتقل الساهرون إلى رحابها في ليلة مقمرة، قال واحد منهم: "إنها تشبه ليالي الأندلس!". فسأله آخر: "ومن أعلمك بسر هذا الشبه؟"، فأجاب: "قرأت لأديب مهم قوله: حماة فيها

مسحة جمال أندلسية". ... وساد صمت، كأنه ضروري لاستنكار موشح فيروز والرحابنة الشهير عن الليالي الأندلسية، ثم انتهى المشهد بالعبارة الطيبة في نهايات السهر والسمر: "تصبحون على خير!".

وقد استلهم من مشاركته في حرب تشرين في تلك الأيام من عام 1973، موضوعات شعرية ذات طابع وجدانية مهمة، مثل قصيدته عن جراح الطيار عدنان الحاج خضر ابن فرات "دير الزور" الذي بترت ساقاه في الأسر بعد سقوط طائرته، فكان عندما يذكر في إلقائها عبارته التي غدت شهيرة: "ألثم جرحك يا عدنان" يثير تصفيق أكَفِّ، وانهماَر دموع ...

تعدُّ قصيدة "قارع الطبل الزنجي" ... للشاعر أيمن أبو الشعر، انعطافة مهمة في تاريخ مسيرته الشعرية، إنجازا واستقبالا، وسرَّعان ما غدت على السنة أدباء كثيرين: استهجانا أو إعجابا، مشكِّلة عنصرا أساسا من مكونات ظاهرة في الشعر السوري، لا يمكن نكرانها ...

سمعت هذه القصيدة في أمسية نوعية للشاعر في قاعة "سامي الدروبي" في المركز الثقافي العربي في حمص، بين عامي 1973-1974، عندما سافرت مع بعض الأصدقاء في حماة لحضورها بوسائط نقل بدائية، ما جعلني بعد تعمق معرفتي بالشاعر لا أستغرب ظاهرة السفر من حلب أو حماة أو اللاذقية أو غيرها إلى دمشق، لحضور أمسياته الشعرية، وهي ظاهرة ما تزال مستمرة حتى أيامنا من عام 2022، ولم يحظ بها الشعراء كثيرا، في زماننا...

والغريب أن هذه القصيدة المهمة، على الرغم من انتشارها الواسع، لم تأخذ طريقها إلى النشر في ديوان إلا عام 1978 مع صدور الديوان السادس للشاعر بعنوان "الصدى"¹. ولما كنت قد خصصت هذه القصيدة بدراسة² في سياق آخر، أكتفي بكلماتي هذه عنها، تاركا سطورها شهادة ووثيقة الآن:

¹ أيمن أبو الشعر، أيمن، 1978-الصدى. شعر، دار ميسلون، دمشق. (104ص). ص 49.

² اهتمت دراستي المتواضعة "استلهام الموضوعات والثقافات العالمية" في شعر أيمن أبو الشعر، بقصيدة قارع الطبل الزنجي" وغيرها.

قصيدة "قارع الطبل الزنجي" ... للشاعر أيمن أبو

الشعر!

حذره الأطباء من الاستمرار بالعزف بعد أن أصيب
بمرض القلب ورفض صاحب النادي الليلي تحويل عمله
حتى إلى منظم للصحون .. اضطره الجوع للرضوخ .. فعاد
ليعزف ..

"صاح السيّد حينَ امتلأتُ صالئةً ناديهِ الليلي:

موسيقا .. موسيقا يا يومَ الشؤمِ

موسيقا .. طبلٌ ونغمٌ

دُم .. دُم .. دُم .. دُم ..

موسيقا ..

والتصقَ الجِسْمُ بِشِطِّ الجِسْمِ

ارتعشَ النَّهْدُ انْتَعَشَ الشَّدُّ

فسالَ الشَّهْدُ التَّمَعَ الطَّيِّبُ

يُورِدُ شِفَاةَ

عَضَّتْهَا أَحْدَاقُ الشَّبِقِ ارْتَجَّتْ ..

فَانْطَلَقَتْ آه

ضَمَّتْهَا شَفَهُ نَدَّت ..

فَانْطَبَقَ الْفَمَ

دُمٌ ... دُمٌ .. دُمٌ ... دُمٌ...

موسيقا ..

وَاشْتَعَلَ اللُّوْنُ .. انْطَفَأَ الْكَوْنُ

بِذَاكَرَةِ اللَّحْظَةِ عَبَّتْهَا أَقْدَاخُ الْوَهْمِ

انْفَجَرَ الضِّحْكُ الصَّخْبُ اللَّهَبُ الْمَوْقُوتُ

اللَّيْلِيُّ بِأُرْدَافِ الْأَصْنَامِ الشَّمْعِيَّةِ

فَانْفَرَطَ الْعِقْدُ بِجَيْدِ الْهَمِّ ...

وَدَاخَ الْكُمُّ بَزِينِ الْكُمِّ .. النَّخْصُ الرُّنْمُ ..

دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ دُمٌ دُمٌ ..

وَاحْتَارَ الصَّمُّ

دُمٌ .. دُمٌ ...

فَالْتَهَبَ الشَّمُّ ..

دُمٌ .. دُمٌ ..

موسيقا .. جُرْحُ وَأَلَمٌ

دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ دُمٌ دُمٌ ..."

موسيقا .. موسيقا يا بومَ الشؤمِ

موسيقا .. طبلٌ ونغمٌ ...

دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ ..

موسيقا ..

والتصقَ الجِسْمُ بِشَطِّ الجِسْمِ

ارتعشَ النهْدُ انتعشَ الشَّدُّ

فسالَ الشَّهْدُ التَّمَعَ الطَّيِّبُ

بوردِ شِفاةِ

عَضَّتْهَا أَحْدَاقُ الشَّبَقِ ارتجَبَتْ ..

فانطلقتْ آه

صَمَّتْهَا شِفَةٌ نَدَّتْ ..

فانطبقَ الفَمُ

دُمٌ ... دُمٌ .. دُمٌ .. دُمٌ ... دُمٌ ...

موسيقا ..

وَاشْتَعَلَ اللُّوْنُ .. انْطَفَأَ الكَوْنُ
 بِذَاكِرَةِ اللُّحْظَةِ عَبَّتْهَا أَقْدَاخُ الوَهْمِ
 انْفَجَرَ الضِّحْكُ الصَّخْبُ اللِّهَبُ المَوْقُوتُ
 اللِّيلِيُّ بِأَرْدَافِ الأَصْنَامِ الشَّمْعِيَّةِ
 فَاَنْفَرَطَ العِقْدُ بِجِيْدِ الهَمِّ ...
 وَدَاخَ الكَمُّ بِزِنْدِ الكَمِّ .. النَّخْصِرُ النَّتَمُ ..
 دُمُ .. دُمُ .. دُمُ دُمُ دُمُ ..
 وَاحْتَارَ الضَّمُّ
 دُمُ .. دُمُ ...
 فَالْتَهَبَ الشَّمُّ ..
 دُمُ .. دُمُ ..
 مَوْسِيقَا .. جُرْحُ وَأَلَمٌ
 دُمُ .. دُمُ .. دُمُ دُمُ دُمُ ...
 مَوْسِيقَا ... وَتَرْتِيقُ شَمْعَةٍ
 مَوْسِيقَا ... تَهْتَرُ الدَّمْعَةُ
 فِي جَفْنِ الزَّنجِي الكَهْلِ .. وَصَارَ الضَّوْءُ

يَنُوسُ .. تَمُوجُ الأشْكَالُ

تَطُولُ .. تَمِيلُ ..

وما زالَ الزنجيُّ يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

ارتفَعَ الكأسُ وطابَ الشُّرْبُ

فَجَنَّ العِشْقُ

يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

انْتَفَضَ القلبُ وغَصَّ الشَّهْقُ

تَعَرَّقَ .. أَوْرَقَ في جَفَنِيهِ الحُلْمُ

كَلَمَحَ البَرِقِ .. التَّهَمَ

الحُلْمَ الصَّعِقُ ..

يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

احْتَرَقَ العَتَمُ ..

ازدادَ الهَمُّ ..

دُمُّ .. دُمُّ ..

دُمُّ .. دُ دُ دُمُّ ..

موسيقا ..

الجوعُ يَحْزُنُ.. يَنْزُرُ بِحَلْقِ الزنجيِّ

فَيَنْطَلِقُ يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

البردُ المرُّ يَمُرُّ بِذَاكِرَةِ الزنجيِّ

فَيَرْتَعِشُ الجِلْدُ المَعْرُوقُ ..

وَيَنْطَلِقُ .. يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

القلبُ يَدُقُّ ..

الطَبْلُ يَدُقُّ ..

ازدادَ الطَّرْقُ .. يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

انْشَدَّ العِرْقُ .. يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

ارتَفَعَ الشَّهْقُ .. يَدُقُّ .. يَدُقُّ ..

ومالَ العُنُقُ ..

انكَبَّ الجِسْمُ تَمَدَّدَ ..

صاحَ السَيِّدُ : موسيقا .. موسيقا يا بومَ

الشُّومِ الأَسْوَدَ ..

موسيقا اقترَعِ طَبْلَكَ أو تَبْعَدْ

.... ماذا ؟ !! إذ رَفَعَ الرَّأسَ

فَسَاحِ النَّزْفُ وَعَطَى الْغَمِّ ..
 وَصَدَى الطَّبْلِ يَصُمُّ .. دُمُّ .. دُمُّ .. دُمُّ ..
 عُدْرًا عُدْرًا يَا سَادَةَ
 لَنْ يُفْسِدَ سَهْرَتَنَا
 وَسَنَرَقِصُ نَمْرُحَ كَالْعَادَةِ
 غَطَّوْا الْجُبَّةَ كَيْ نَلْهُوَ مَا نَفَعُ الْغَمِّ
 وَلِنُنْحَضِرَ قَارِعَ طَبْلِ آخَرَ
 وَلِنَمْسَحَ قَطْرَاتِ الدَّمِّ ...".

الفصل الثامن

أيمن أبو الشعر: شاعر السبعينيات!

-1-

كان أيمن أبو الشعر في الثامنة والعشرين من العمر، عندما نجح في مسابقة أجرتها وزارة التربية في دمشق عام 1974 لاختيار مدرسين جدد، وعُيّن في حلب، فاستأجر بيتا في حي "الأشرفية"، صار بين ليلة وضحاها مركزا فنيا وثقافيا من طراز خاص، ولدت في رحمه فرقة "سبارتاكوس" الموسيقية، وراحت لقاءاته مع فنانيين موهوبين تبيّن بمشاريع فنية وأدبية مهمة طموحة، منهم: "مروان غريبة، وفهد يغن الذي أنجز عمله "صباح الخير يا وطننا" مع أمل عرفة¹، فبدا كأنه إعلان عهدٍ فنيّ جديد قيّد الانبلاج ... وراحت مكتبتا "الزهراء" و"ميسلون" الشهيرتان في دمشق، تتبعان أشرطة تسجيل "الكاسيت" لحفلات شعرية وموسيقية يقدّمها الشاعر "أيمن أبو

1- كانت أمل عرفة في بداية مشوارها الفني، وقد غدت علامة في ضمير الفن الدرامي المعاصر في سورية تحظى بتقدير كثيرين أنا واحد منهم، وأداؤها في مسلسل "حمام القيشاني" لمشهد رفض مباحج السهر في يوم الثامن من تموز، ونطقها عبارة "يوم الغداء العظيم" ... وكذا دورها في مسلسل "خان الحرير" أداء وغناء ... كل ذلك وغيره، جعل حول اسمها هالات من نور....

الشعر"، منفردا مع عوده حيناً، ومترافقا مع آخرين، في الأرياف والمدن البعيدة عن العاصمة، محققاً حضوراً واسعاً أثار إعجاب كثيرين شعروا بوجود مشروع ثقافي جدير بالتشجيع، وأغضب كثيرين شعروا أن في المسألة أسراراً غامضة، تحاول ليّ ذراع الثقافة والفنون لصالح الهتافات والشعارات، فعبر معظمهم في جلسات توزعتها غالباً مقاهٍ منتشرة بين شارع العابد وساحة "يوسف العظمة" في دمشق¹، عن إدانة ظاهرة شاعر في عقده الثالث يشارك إلى جانب قامات أدبية عالية مثل محمد مهدي الجواهري (1899-1997) وبدوي الجبل (1903-1981) ونزار قباني (1923-1998) وغيرهم، في ملتقيات شعرية نوعية، مثل: مهرجانات اتحاد الكتاب العرب في دمشق منذ عام (1971)، وتأبين الشاعر وصفي قرنfli (1911-1972) في حمص (1972) ...

وبين التشجيع والغضب، راحت تنتشر بين طلبة المرحلتين الثانوية والجامعية ظواهرُ تصوير مقاطعٍ من قصائده توضع

1 لم يعبر عن هذا الاتجاه كتابة في الصحف والمجلات إلا في النادر القليل بمثل مقالة كتبها درياض عصمت عن مسرحية "الأرنب الذهبي"،

ودراسة محمد جمال باروت التي اكتفت بالإشارة إليها في مجلة الموقف الأدبي عام 1982.

فوق مناضد الدراسة والأسرة، وظواهرُ الأمسيات الشعرية الحاشدة لشاعر لم يتجاوز الثلاثين في القاعات الكبرى "المستعدة للهتاف"، يلقي الشعر بصوت يتهدج حزنا تارة، ويصرخ غاضبا متحديا تارة أخرى، وهو يؤدي قصائد مبنية بتقانات درامية سردية ومسرحية، يتلاحق فيها كسر أفق التوقع، ومبشرة بزوال الظلم وانتصار الحب والعدل في كل مكان من أرض البشر، وقد بات تحقيق ذينك الزوال والانتصار قاب قوسين أو أدنى، ما يلهب الأكف تصفيقا ابتهاجا بالأيام القريبة القادمة ...

ولما أصدرت مجلة الموقف الأدبي عددها الخاص بشعر السبعينيات، برزت فيه دراسة الناقد محمد جمال باروت الذي غمز من هذه التجربة بقوله: "إن أيمن أبو الشعر يكتب الشعر لقاعات كبرى مستعدة للهتاف"¹.

-2-

كان الشاعر أيمن أبو الشعر في عام 1979 في الثالثة والثلاثين من عمره، يجر خلف منكبیه حضورا أدبيا واسعا

1- باروت، محمد جمال، 1982- الحساسيات الكبرى في شعر التسعينيات. مجلة الموقف الأدبي، العددان 138 و139. ص 259.

وعميماً، لم يحظ به سوى شعراء قلائل في جيله، فقصائده منحت أمسياته في دمشق وغيرها من المحافظات السورية، حالات من المشهدية الثقافية اللافتة، بالغة ذروتها في لقاء شعري نوعي في مقصف "الأزروني" في جامعة دمشق مطالع السبعينيات، وتكررت في أمسيات أقيمت للشاعر، كان آخرها في المركز الثقافي العربي - "أبو رمانة"، خريف عام 2021. وسرعانَ ما غدت أمسياته الشعرية مثار إعجاب محبيه، ومحل انتقاد المستائين الذين عدّها معظمهم مفتعلة يأتي إليها الناس بتدبير فاعل، فترى الحاضرين يصفقون لقصائده ويتحمسون بناء على توجيهات سرّية منظمة محسوبة! ... وكان مثل هذا الكلام يزيد من حماسة الكثيرين للشاعر ومحبته، إذ يشعرون أنهم حضروا أمسياته وشفقوا لقصائده من دون توجيهات أحد، ولا بدّ من مواجهة افتراء المفترين

ورحم الله الفنان محمد طه الذي كان يختم غناؤه الشعبي في
سهرات عروس المصايف اللبنانية "عاليه" بالعبارة الشهيرة:
"على الأصل دَوَّر".

وإذا حاول متابع ما، الإفادة من نصيحة محمد طه، في
مناقشة جماهيرية استقبال قصائد "أيمن أبو الشعر"، مثل
قصائده: "قارع الطبل الزنجي" و"حلم في الزنزانة السابعة"
و"الصدى" وغيرها، اكتشف أمورا تبعد عنها تهمة التوجيهات
السرية، فمثل هذه التوجيهات لا تصدر منطقيا إلا عن
توجيهات علنية من أرملة قارع الطبل الزنجية المسكينة
وعشيرته الأقربين ...

في هذا الفضاء الحافل بالنشاطات الصاخبة، مرَّ عقد
السبعينيات من حياته، صاخبا منذ بلوغه الرابعة والعشرين،
متخرجا في كلية الآداب من جامعة دمشق، ومنتقلا الإقامة

بين دمشق وحمص وحماة وحلب، ومصدرا مجموعاته الشعرية المتلاحقة: "خواطر من الشرق" (1971)، "صندوق الدنيا" (1972)، "بطاقات تبرير للحب الضائع" (1974)، "طلقات شعرية" (1977)، "الحب في طريق المجرة" (1978)، "الصدى" (1979)، مترافقة مع أمسيات شعرية حاشدة، حتى وصوله الثالثة والثلاثين، مستقبلا خبر إيفاده إلى "معهد الاستشراق" في أكاديمية العلوم السوفيتية لدراسة الدكتوراه في الآداب، فكان ذلك الإيفاد عطافة مهمة في حياته الشخصية والثقافية على الصعد كافة.

-3-

وافقت المستشركة المعروفة فاليريا كيربيتشكو (1930-2015)، بعد نجاحه في امتحانات اللغة والدورة التحضيرية، على وضع شغله على أطروحة الدكتوراه، بعنوان "الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث"، تحت إشرافها العلمي، فكان

ذلك من حسن طالعه، نظرا لمكانتها بين دارسي الأدب العربي المعاصر في حركة الاستشراق، وما حققته دراساتها عن أعلام الأدب العربي، ولا سيّما نجيب محفوظ (1911- 2006) من نجاحات، حتى إذا حاز هذا الكاتب العربي المهم جائزة نوبل عام 1988، سافرت إلى القاهرة مشاركة في احتفالات مصر بذاك الحدث، وأصدرت طبعة جديدة من كتابها "نجيب محفوظ معلم النثر!"¹.

لم تشغله متابعة عمله في الدراسات العليا، عن نشاطاته الشعرية التي وجدت في التجمعات الطلابية العربية والأجنبية في الجامعات المختلفة، استقبالا حماسيا، يذكره بملتيقيات جامعة دمشق ومقصف "الأزروني" فيها، ومدرجها الكبير ... وراحت تجربته مع ترجمة الشعر السوفيياتي تتعزز، فينشر ترجماته لقصائد عدد غير قليل من الشعراء الراحلين والمعاصرين، ودراسات عنهم، فأسهم ذلك في تنامي تقديره لدى عدد من الأدباء البارزين في اتحاد الكتاب السوفيت، مثل

1- فاليريا كيريبينشكو (1930 - 2015)، وسرعان ما نظمت في الهيئة العامة المصرية للكتاب، بعد أشهر من رحيلها ندوة عن عطاها بعنوان "الإبداع لا يرحل"، في كانون الثاني 2016، تحدث فيها د. جابر عصفور (1944- 2021) ومعنيون، وحضرها ابنها السفير الروسى في مصر سيرجى كيريبينشكو الذي توفي في القاهرة سنة 2019.

"رسول حمزاتوف، وجنكيز إيتماتوف، وإيغور لابن، وفلادمير سافرونوف، وفلادمير إيساييف ... وجاء منحه جائزة ماياكوفسكي الشعرية عام 1982، كما جاءت ترجمة قصائده إلى اللغة الروسية، وتبني دار "البرافدا" إصدارها، من أمارات نجاحاته المتلاحقة وتعزيزها ...

في نيسان من عام 1985، دافع عن أطروحته العلمية، وسط احتفاء أوساط أدبية وثقافية متنوعة، وراح يتابع نشاطاته شاعرا ومترجما ودارسا أدبيا، وراحت صداقاته مع محبي الآداب ودارسيها تزداد نماء واتساعا مع كثيرين، سرعان ما غدوت واحدا منهم ...

الفصل التاسع

قهوة ساحة العاصي والنسكافيه البرازيلية!

صباح 8 كانون الأول ١٩٨٦ جاءني صوت المثقف المعروف الصديق الحميم أ.أحمد عاصم عثمان عبر أسلاك الهاتف الباردة يدعوني إلى مشاركته في نعي أخيه الذي غدا في حياتي منذ عشر سنوات بعيدة خلت في منزلة الأب والصديق والأستاذ الأديب سهيل عثمان (1932- 1986) ... غادرت حماة بعد أيام منكسر الخاطر، وسافرت لمتابعة الدراسات العليا في الأدب المقارن، معيدا موفدا من جامعة "البعث"، واضعا بين أوراقى الثبوتية الكفالة المالية المطلوبة من تاجر مقتدر أو موظف قديم، فخورا لأنها ممهورة بتوقيع أستاذي الحميم، وحزينا لأن ذلك الأستاذ الغالي الذي أثر في تكويني الفكري وجعلني واحدا من مريديه، وشركائه في همّه العربي الثقيل، قد غدا قبل أيام خلت في عالم غير عالمنا ... وسرعان ما استقبلني ابن حارتنا في حماة الصديق القديم د.جابر أبي جابر الذي غدا في غربته موظفا مرموقا في مؤسسات الترجمة، فقَدَمَني بدوره إلى زميله في العمل، وصديقه الشاعر المعروف د.أيمن أبو الشعر، الذي سألني من

فوره: "هل معك من دمشق قهوة عربية؟"، لأنها تشوقه ويفضلها على كل أنواع النسكافيه في الدنيا، فبادلته على نصف كيلو من قهوتي مع الهال، بعلبة نسكافيه برازيلية، ولما قرأ على كيس قهوتي اسم "الشماع - ساحة العاصي"، بثت أسأريه، وسأل: "هل أنت من بلد جابر؟"، وأراني بطاقة دعوة قديمة من نادي الفارابي في حماة لحضور مسرحية من تأليفه وإخراج سمير الحكيم عنوانها "الأرنب الذئبي"، وتابع حديثه الشائق عن مرحلة إقامته في حماة (1973-1974)، وصلاته بأعلام أدبائها ومتفقيها، فأخبرته بصوت مخنوق عن رحيل الأستاذ سهيل مؤخرا، وانتهى لقاء التعارف في ساعة متأخرة من السهرة، فقال لي مودعا: "رتب لي حديثين مع أدبيين من أصدقاء أ.سهيل عن حياته وأدبه، على شريط كاسيت، أبتئهما في برنامج إذاعي أعده أسبوعيا"، فمحنني طلبه شعورا عاليا بالألفة، عبرت له عنه، وقلت: "هل أطلب من صديقيه الحميمين الأستاذين الأدبيين عبد الرزاق الأصفر ووليد قنباز (1935-2005) ذلك"، فسُرَّ لسماعه الاسمين، وقال: "طبعاً، اكتب لهما في الصباح، لا تنس يا راتب ... أنت أصبحت أخي!" ...

-1-

استغرق إنجاز شريط التسجيل العتيد ووصوله وقتا، تعمقت فيه أخوتنا الجديدة، بعد أن كانت صلتي به قبل ذلك تشبه صلة واحدٍ من محبِّي الشعر والأدب، حضر أمسيات شاعر نابه، وأحبَّ شعره وإلقاءه ...

كان لبثَّ محتوى الشريط في سهرة إذاعية أدبية وقع مؤثر في النفس، وأسهمت مقدمة معدُّ البرنامج وتعليقاته على حديثي الأدبيين الأصفر وقنباذ عن صديقهما الراحل أسهيل، في تعميق محبتي له وثقتي به، وصار كل منا، بعد مجريات الأشهر السابقة، يكتب لصاحبه في أول أية مراسلة عاجلة أو متأنية، عبارة: "شقيق الروح والوجدان!".

الفصل العاشر

طبيب وشاعر في مكتبة "ميسلون" في دمشق

برزت منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين، ظاهرة تسجيل القصائد التي يلقيها الشاعر أيمن أبو الشعر في الأمسيات الشعرية، بحماسة عالية مشتركة بينه وبين مستمعيه، وبيعها في مكتبة كبيرة مهمة في وسط دمشق هي: "مكتبة ميسلون"، وهي ظاهرة جديرة بالتحليل والتفكير، مع الإشارة إلى أنني لم أكن من المهتمين بها في مرحلة دراستي الإجازة والدبلوم في جامعة دمشق بين عامي (1974-1980)، غير أنني تابعتها عن بعد، ثم تابعت تفاصيلها وأخبارها في حواراتي اللاحقة مع أدباء وأصدقاء كثيرين، مثل الصديق الحميم الطبيب د. شكيب الخطيب الذي غدا لديّ من أقرب أصدقاء العمر، منذ حضوره مع صديقنا المشترك د. أيمن أبو الشعر في خريف عام 2005 حفل توقيع كتابي الشعري الخامس "أقرب من الأصدقاء أبعد من الخصوم" في المركز الثقافي العربي في حماة، وسهرة النادي العائلي فيها احتفاء بالمناسبة.

كان شكيب قد التحق طالبا في كلية الطب البشري في جامعة دمشق بين عامي (1978-1984)، وسرعان ما شرع يشتري "كاسيتات قصائد الشاعر" مع عدد من زملائه، الذين يجدون في جلسات استماعها طقوسا احتفالية خاصة، حتى إذا سألوا عن الشاعر، قيل لهم إنه سافر لدراسة الدكتوراه ... وتمر مرحلة اختصاص الطبيب، ويبرز في عطائه الطبي الثرّ، غير أن حنينه إلى تلك الظاهرة في سماع الشعر وتلقيه، ظلّ يمنح ذكرياته المتنوعة ألقا خاصا، حتى إذا علم بموعد أمسية شعرية للشاعر في مكتبة "الأسد" الوطنية، بعد عودته إلى دمشق عام 1999، وجدته بين الحاضرين في قاعتها الكبرى، الذين كنت واحدا منهم، حضرت من حماة لأقدم شهادة عن الموضوع الفلسطيني في شعره، ما دامت الأمسية تأتي في مسار تأييد "الانتفاضة" الفلسطينية، ومؤازرتها.

لاحظ الطبيب د. شكيب الخطيب وهو يتتبع إلقاء الشاعر الحماسي مؤثرات مرضية بادية، فاقترب بلهفة أصيلة في شخصيته الطبية والإنسانية من المنصّة، وأعلم الشاعر بضرورة إجراء تحليلات طبية ومرافقته في أقرب وقت ممكن إلى المستشفى الذي يعمل فيه، وفي فناء المكتبة الكبير، طال

التعارف بينهما، وتنتقلت حواراتهما، بين ذكرياته مع "كاسيات التسجيل" ومكتبة ميسلون، وملاحظاته الطبية بوجوب إجراء عمل جراحي عاجل لغدة الشاعر الدرقية، ولمّا سلّم الشاعر أمره لطبيب التخدير د. شكيب صديقه الجديد في غرفة العمليات، راح على جسر من أراجيح الأحلام بين الوعي وغيابه، يقول لطبيبه: "سَلَّمَكَ مدبحة لا تدبحه"، والطبيب يبتسم رضيًا باكتشاف هذه الأصالة الشعبية الغائبة الحاضرة، في وعي صديقه الشاعر ولا وعيه".

وسرّعان ما غدوت شريكا لهذا الطبيب المرهف، مؤتمنين مع كثيرين غيرنا، على محبة هذا الشاعر، وألق حضوره في نشاطاتنا الشخصية والاجتماعية والثقافية.

الفصل الحادي عشر

سلاما مواعيد قلبي دمشق!

ديوانه "سلاما مواعيد قلبي دمشق" صدر عام 2018 عن الهيئة الهامة السورية للكتاب في دمشق، وأقيم في المركز الثقافي العربي - أبو رمانة، حفل توقيع الديوان متزامنا مع صدوره في تشرين الأول، وغصت قاعة المركز بمحبي الشاعر، في ظاهرة لم تعد متوقعة في انعطافات الأزمنة وانكسارات دروبها، وغطت باقات الزهور الملونة منصة المركز حاملة تواقيع أصدقاء ومحبين.

وقّع الشاعر أيمن أبو الشعر مجموعته الشعرية "سلاما مواعيد قلبي دمشق" في قاعة المركز الثقافي العربي - أبو رمانة، التي غصت بحضور نوعي من المهتمين والنقاد والباحثين، ما ذكّر بأمسيات الشاعر في السبعينيات الماضية. وكتب الشاعر "بلال أحمد" مقالة في "سانا" عن حفل التوقيع وما رافقه من ندوة نقدية شارك فيها كاتب هذه الكلمات

ود.عبدالله الشاهر، ود.جمال أبو سمرة بثلاث قراءات نقدية لقصائد هذه المجموعة.

قدم الدكتور عبد الله الشاهر قراءة نقدية لبنية القصيدة في المجموعة مسلطا الضوء على تنوع بنائها الشعري من رؤية تجريبية، هدفها اختبار الممكنات الشعرية في كل شكل مبينا أن المجموعة تزخر بالصور الجميلة، والقصائد التي زاوجت بين القديم والحديث، وقد أضفى حب دمشق عليها جمالية ضافية، فتساوقت نصوصه مع حب هذه المدينة التي شكلت جوهرًا متألقًا في وجدانه وتجربته الشعرية الطويلة.

وقد نشر د.الشاهر دراسته لشعر د.أيمن أبو الشعر ضمن كتابه الذي صدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام 2022، بعنوان "ناقد وخمسة عشر شاعرا"¹.

الناقد الدكتور جمال أبو سمرة قدم قراءة نقدية في المجموعة بين فيها محافظة أبو شعر على الناحية الفنية الجمالية الشكلية وعلى الموضوع من الناحية المعنوية لافتا

¹ - الشاهر، د.عبدالله، 2022- ناقد وخمسة عشر شاعرا. اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

إلى جماليات الإدهاش عند أبو شعر منطلقاً من إدهاش التكنيف والذي يتضح في عناوين النصوص وإدهاش التكنيك حيث تناول تكنيك السينما أو المونتاج الشعري في المجموعة. وعدّ أبو سمرة أن المجموعة امتداد لمسيرة أبي شعر الشعرية بعد انقطاع عشر سنوات عن النشر ولم يختلف فيها خط الشاعر مع محافظته على جماليات النص من خلال الانزياحات والإيقاعات والإدهاش والتشويق.

وقرأ الشاعر أبو الشعر قصائد متنوعة من المجموعة تحية منه إلى دمشق المدينة والحضارة والتاريخ، وقصائد أخرى من زمن السبعينيات كقصيدة قارع الطبل الزنجي وغيرها.

الفصل الثاني عشر

مسرحيته "رجل الثلج"،

وقصصه "اعترافات عاشق أو العذاب الشهوي"

أصدر د.أيمن أبو الشعر في خريف عام 2019 مسرحيته "رجل الثلج"¹ ضمن منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، التي نظمت حفل توقيع المؤلف لمسرحيته، مترافقا مع ندوة رأسها د.ثائر زين الدين المدير العام للهيئة، وشاركتُ فيها مع الطيبية القاصة د. رنا أبو طوق² بقراءتين نقديتين.

تناولت في قراءتي هذه المسرحية، التي كتبها مؤلفها ونشرها بالروسية قبل سنوات، ثم ترجمها بصياغتها العربية

1- أبو الشعر، د.أيمن أبو الشعر، 2021- رجل الثلج. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق. (120ص).

2- القاصة د. رنا أبو طوق مواليد حماة 1969، حازت جائزة "البتاني" للقصة القصيرة، ثم أصدر اتحاد الكتاب العرب مجموعتها القصصية "درس استثنائي" التي قدم لها د.أحمد زياد محبك، ثم نشرت قصصها منجمة في المجلات والدوريات وحالت ظروف دون تأخر جمعها في كتاب. أسست مع والدها المثقف الراحل محمد وليد أبو طوق، ودمنقذ عقاد وحباب بدوي وآخرين - كنت واحدا منهم- "ملتقى أبي الفداء الثقافي". تخرجت طبيبة واختصت بأمراض الأنف والأذن والحنجرة، وتابعت رسالتها الطبية بين عيادتها الخاصة ومشافي حماة.

لترى النور في هذا الإصدار. الزمان الفني للمسرحية هو ثمانينيات القرن العشرين، ومكانها الفني الرئيس مغارة صخرية عميقة مغلقة في جبل حدودي"، ومن شخصياتها المحورية العجوز يكاترينا البالغة من العمر سبعين سنة، التي هربت وهي في ريعان الشباب من قريتها أيام الحرب العالمية الثانية (1939-1945) بعد أن أحرقها الجيش النازي، تقول: "كل من كان معنا قضى نحبه، شنقوا والدي وأحرقوا جميع من كان في القرية أحياء".

الإقامة في المغارة الجبلية هرباً من جرائم النازيين، طالت خوفاً منهم، حتى إذا حان وقت المواجهة بين زمن المغارة وزمن الحقيقة والواقع، تكشف قضايا رمزية ومعرفية عميقة الدلالات، تذكر القارئ بأحوال قصة أهل الكهف الشهيرة التي أحسن مؤلف المسرحية استلهاً بنائها الفني ...

وتناولت د.رنا أبو طوق في قراءة بعنوان "معزوفات العذاب الشهي" القصص القصيرة التي نشرها د. أبو الشعر منجمة في المجلات، وكان من المنتظر صدور كتابه

القصصي "اعترافات عاشق أو العذاب الشهوي"¹ جامعاً تلك القصص، متزامناً مع صدور مسرحيته "رجل الثلج" غير أن تقنيات النشر أخرت ذلك ...

انطلقت د.أبو طوق من قراءتها المبكرة لتجربة كاتب القصص شاعراً، مكتشفة ثنائية: الشاعر والقاص، في قصائد كثيرة له، من أبعدها تأثيراً، قصيدته "قارع الطبل الزنجي"²، التي تعد أنموذجاً لقصصه التي اتخذت الشعر لبوساً فنياً لها، حتى إذا نشر قصصه النثرية التي جمعها مشروع كتابه القصصي الأخير، بعد نشرها منجمة في المجلات، وجد قارئها تركيز القاص - الشاعر على سخرية سوربالية مرة من واقع اجتماعي قاس بظلمه وظلماته، وقدرة فنية متوثبة لا تتعب من كسر أفق التوقع، بما يترك نصه القصصي يترجح بين الضحكات والدموع.

1 أبو الشعر، د.أيمن أبو الشعر، 2021- اعترافات عاشق أو العذاب الشهوي. دار الينابيع، دمشق. (120ص).

2- عارضت هذه القصيدة في ديواني "ملاءة الحرير" (2000)، ونشرت أ.حباب بدوي دراسة مهمة نشرتها عن القصيدتين بعنوان "قارع الطبل الزنجي بين قصيدتين".

وصدر كتابه القصصي "اعترافات عاشق أو العذاب الشهي" في أيلول من عام 2021، بعد طول انتظار، ف جاء حفل توقيعه مترافقا مع أمسية أدبية في المركز الثقافي العربي، أبو رمانة، تقدم فيها باقة من قصصه وقصائده، وقراءتان نقديتان للأديبين رشاد أبو شاور ود. عادل فريجات. ولما حالت الظروف دون حضور أ.رشاد أبو شاور من الأردن، أرسل كلمته، مفوضاً صديقه الخصيص الروائي حسن حميد بقراءتها، ف اكتسبت بذلك قيمة مضافة بما قدم لها حامل أمانتها بتعبيره عن تقديره لأيمن أبو الشعر: شاعرا وقاصا وإنسانا، شكّل ظاهرة في الوجدان الثقافي.

وجاء في كلمة أ. رشاد: "أيمن أبو الشعر شاعر لمع في سماء دمشق مطلع السبعينيات، واجتذب جمهورا واسعا تدفّق لحضور أمسياته، وأذكر إحدى هذه الأمسيات على مدرّج جامعة دمشق، حيث ضاقت القاعة الفسيحة بجمهور احتشد لسماع شعر أيمن، حتى اضطر كثيرون للجلوس على درجات المدرّج حتى البوابة الخارجيّة. ودمشق مدينة

الياسمين عريقة الحب للشعر، والتي تميّز الشاعر من الدعي، احتضنت ابنها أيمن، وبعثت بحفاوتها به برسالة: ولد عندنا شاعر جديد، يحمل لكم ياسمين الشام، وهكذا انتشر حضور أيمن عربيا، وبات اسما يشار إليه، وتُنظر قصائده. وها هو أيمن الشاعر الكبير يعود إلى الشام، التي ما فارقت قلبه، والتي رفع بياض ياسمينها عاليا ...

هذه المجموعة الغنية بما تحمله للقارئ، تنتقل بالقارئ بين القصّة القصيرة التشيخوفية كما في قصة (الكلب الذي بات يعض البحر)، وهي قصة عميقة الإنسانية. ثمّ نقرأ قصة (حلم) الموجعة للروح، والتي تقدّم حلم إنسان عربي سوري، وشوقه أن يرى العدل والمساواة، وعيش الإنسان العامل الكادح بكرامة، ولأن فلسطين لا تغيب عن فكر أيمن فإنها تحضر في هذه القصة، فالمواطن البسيط الطيّب الأصيل يحلم بأنه مسافر بالقطار إلى حيفا. ولكنه في الواقع يعمل في مصنع لا يكافئه سوى بالليل، وهو يعيش حياة الكادحين المحرومين، مع زوجته، في بيت بالأجرة، وهو عاجز عن

تسديد أجرته لمالكه الذي يلح عليه بدفعها. قرأت قصة (هذا بالذات هو ابنك..من صُلبك)، وهي قصة ذكّرتني بما تتركه قصص الكاتب الأمريكي أو هنري من دهشة، وبراعة في خاتمتها "...".

وتحدث د.عاد فريجات مبيناً أن هذه ليست المرة الأولى التي يقدم قراءة نقدية في أدب صديقه د.أيمن أبو الشعر، ومما جاء في كلمته: "عرفته المنابر (شاعراً) مميزاً ومحبوباً يدع اليوم صنعة الشعر، مُجرباً حِرْفَةَ السرد ... كانت لغة القاص الشاعر (أبو الشعر) لغة متقنة، تمّ فيها استثمار طاقات فيها قد لا يفطن لها كل الناس ...

استمد القاص بعض قصصه من الحياة، استمد بعضها من الطبيعة وبث في بعض عناصرها حياة، فغدت تتكلم... واستمدَّ بعضها من ذكرياته ومن ثقافته الأدبية كما في قصته مع الشاعر السوداني (جيلي عبد الرحمن)(ص31) وكانت بعض تقنيات كتابته الشروع في القصة مع بداية محذوفة، وهي تقليد جاذب أشاد به القاص المصري (يحيى حقي).

وهذه ظاهرة نطالعتها في قصص عنونّت بـ «نداء المعري» و«بلسم» و«صراخ الروح». وكان من تقنيات بعض القصص السخرية في ختام القصة كما في قصة «طلقتان في الرأس» (ص49) بيّن أن كاتبنا في حمأة انغماسه في برهة إبداعه وفي حماسه للتعبير عن عناوين شديدة الجذب والتأثير وجدناه يترك «الحكاية» في القصة، لجهة التفسير والشرح، جاعلاً من قصته «نصّاً» يذكرني بما حواه كتاب عبد الوهاب البياتي «نصوص شرقية». وذلك حين نعاين نماذجه في نصوص مثل «الابتسام» (ص101) وما هو الحب (ص105).

الفصل الثالث عشر

خزّاف الذاكرة!

ظل ديوانه "الصدى" متكاً لخزانة ذاكرته الشعرية، يقتطف من قصائده بطاقات سريعة في سهراته مع أصدقائه الكثيرين - الذي غدوت واحدا منهم-، وفي ملتقيات الشعرية التي ما تزال تكتظُّ بها القاعات، غافلة عن مصائر أحلامها الكبرى، فكأن خزانة الذاكرة عزاء وسلوى وبشائر مواعيد جديدة، قبس منها الشاعر عنوان ديوانه "سلاما مواعيد قلبي دمشق!".

المقطع الأخير من قصيدة الصدى¹!

يا مولاي أنا من قال لهذي الأرض:

"احتدي إحصاراً وامتدي بركاناً"

1- أبو الشعر، د.أيمن، 1978- الصدى. شعر، مكتبة ميسلون، دمشق.

فلتكتُبْ عني كلُّ تقارير المسعورين
وكلُّ الخصيانُ

لن يدخلَ خوفٌ حنجرتي
لن أصمتَ في وجهِ الغيلانُ
فأنا من جند "اسبارتاكوس"
أحاربُ ضدَّ المدعو "اسكندر ذي القرنين"
"بفيتنام وشيلي ... في بيسان"
وأنا من يهتفُ: لا

للريحِ القادمةِ من الغربِ بكلِّ زمانُ
فخذوني بالجرمِ المشهودِ فإني
لا أنكرُ أني

أعشق تربةَ هذي الأوطانُ
لن يقدرَ أحدٌ أن يُفقدني صوتي
لن يقدرَ حبلاً يلتفُ بعُنقي أو سجانُ
إن كانَ الحرُّ بهذا العصرِ يُدانُ
فخذوني للموتِ ... خذوني
خيرٌ لي أنْ أُسَنقَ جسداً ...
لا أنْ يُسَنقَ فيَّ الإنسانُ".

الفصل الرابع عشر

قارع الطبل الزنجي.. طليقاً¹

- إلى الشاعر أيمن أبو الشعر -

توقف، لن تغطي صاحبي

شلت يمينك صاحب الملهى

لعنتك في الخفايا بل علانية

طوتك حقائب الأيام في شتم وفي لعن.

قطار شارد في الفجر

يفرش في الزوايا

من هدير يديه أخباري

يوشئها بساط النور

منسكباً على حلٍ

1- نشرت هذه القصيدة في مجموعتي الشعرية "ملاءة الحرير" (2000)، ثم ألفت في لقاء شعري نظمته كلية الآداب في جامعة البعث عام 2002، شارك فيه الشاعر أيمن أبو الشعر بقصيدته "قارع الطبل الزنجي" وغيرها، وقد قدمت خريجة الكلية (1996) الأدبية حباب بدوي دراستها "قارع الطبل الزنجي بين قصيدتين". في فضاء ثقافي لم يزل في ذاكرة الكلية ونشاطاتها.

رهنّت لها تفاصيلي وأسفاري
 ولم أندم على رهنّي.
 مواكب من طيور غادرت وكناتها
 تزقو الوجود بشدوها الساري
 ملاعبها ربي ممشوقة
 مدّت ذراعيها
 فمن غصن إلى غصن.
 وموسيقى مسافرة على الأوتار
 من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن لحن إلى لحنٍ .
 قطار شارد في الفجر
 يحكي للروابي
 كم يعاني في الهوى العشاق
 من ظلمٍ ومن حزنٍ .
 بقايا من أناشيد البنفسج في الخوابي
 تفتح الطرقات
 سارحةً مع الألوان

من لُونِ إِلَى لُونِ .
 وخلف نوافذ العربات
 طيف "أبي نُواس"
 سارح كالريح من دُنِّ إِلَى دُنِّ .
 مقاعد في القطار تمدنا بنعاسنا
 حلم بهيج، هائم الأطياف
 من جفنٍ إِلَى جفنٍ .
 تقدّم ...

لا تلوّخ باليدين مودعاً
 واركض قليلاً في البراري
 إنَّ مائدة الربيع تفوح بالأسرار
 حاورها بما حملت يداك
 على جناح الصبح
 من سحر ومن فنّ .
 شقيق الروح والوجدان
 إني: لم أزل أحذو ليالي التيه

من وهمٍ إلى ظنّ .
 وأحمل صرخة التاريخ داويةً
 فتكوي أضلعي وهناً على وهن .
 صدى أحزان " أنكيديو "
 يمدّ لخطوتي الفلوات
 تغويني فأتبعها
 أضيع على مجاهلها
 وأنت سميرُ أوهامي
 وأخبرُ بالمكائد
 في انعطاف شعابها، مني .
 فديتك كم تداريها!
 ((بقارع طبلك الزنجي))
 محموماً بموسيقى
 يوزّعها على الرواد مكتئباً
 ويضرب من عصاه السحر
 في بحري وفي فني .

تلوّت في حروف حية تسعى

سحرناهم

فخاب الظن والمسعى

خدعناهم ، بمنعرج القصيدة

لم تزل فيها مباحج

للحسان الغيد

كم قرت بهنّ

- على بحور مخاوفي -

عيني .

وكم سرن الهوينى

في غضوب الموج

يحملن الزهور

إلى شواطئ طيننا

تحنو على رؤياك

موقظة بأسرار الكلام

عبيرها الفوّاح

من ركن إلى ركنٍ .
 وصاحبنا طليقاً لم يزل
 كالمارد الجبار يقرع طبله العاري
 يلوذ الساهرون بظله الهيمان
 من دار الى دار
 يرن بصوته الوثائب
 مفترشاً سحائب مدها الخلان
 من إنسي ومن جنّ .
 أما وصلتك أخباري ؟
 تقدم ...
 في مغازات المكان مباعداً أنقاضها
 - مهدومة الأيام -
 عن أوراقنا
 وادفع قطار نشيدنا
 يسرح بلا حيف ولا غبن .
 تقدم خطوةً وارفع جبينك عالياً

حتى أراك .. كعادتي

بالورد فوّاحاً بلا منّ.

تقدّم ...

في مغازات المكان

مباعداً عنها خرائبها

تقدّم خطوةً

واسأل بصوتك عالياً عني.

الفهرست

<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>
5	- الإهداء
7	- المقدمة - بقلم د. حسن حميد
27	1- الفصل الأول: على أبواب السيرة
31	2- الفصل الثاني: نائب وحدوي منكسر وطفل حالم!
34	3- الفصل الثالث: وداعا أيتها الأخت المثقفة الطيبة!
38	4- الفصل الرابع: الشاعر محمد الحريري أستاذنا وصديقنا!..
42	5- الفصل الخامس: القائد عبد المنعم رياض في مرمى مدفعية العدو! ..
48	6- الفصل السادس: طالب جامعي في مهب اتجاهات الأدب والفكر ...
54	7- الفصل السابع: أيمن أبو الشعر بين روزا لوكسمبورغ وساحة العاصي.
74	8- الفصل الثامن: شاعر السبعينيات!
82	9- الفصل التاسع: قهوة من ساحة العاصي لشقيق الروح والوجدان!
85	10- الفصل العاشر: طبيب وشاعر في مكتبة "ميسلون" في دمشق
88	11- الفصل الحادي عشر: سلاما مواعيد قلبي دمشق!
91	12- الفصل الثاني عشر: مسرحيته "رجل الثلج"، وقصصه "اعترافات عاشق أو العذاب الشهي"
98	13- الفصل الثالث عشر: خزاف الذاكرة!
100	14- الفصل الرابع عشر: قارع الطبل الزنجي طليقاً

د. راتب سكر

أستاذ جامعي وشاعر سوري، تنوعت كتاباته بين الشعر، والقصة، وفن السيرة، والنقد الأدبي، والترجمة. ولد عام (1953) في مدينة حماه، ونشأ في بيروت، وتخرّج في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية (1979)، وفي قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في جامعة دمشق (1979)، وحاز الدكتوراه في "الأدب المقارن" من معهد الاستشراق في موسكو (1991). ... نشرت عن كتاباته دراسات في سورية وبلاد عربية عدّة، وترجمت مجلة اتحاد الكتاب في أنربيجان بعض قصائده ونشرتها في مجلته.

من كتبه في الشعر:

- "وجهك وضاح وثغرك باسم"، مؤسسة شام، دمشق (1984).
- "أبي ينحت الحجر"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (1994).
- "في حضرة العاصي"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (1996).
- "ملاءة الحرير"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (2000).
- "أقرب من الأصدقاء أبعد من الخصوم"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (2005).
- "سلافة الروح"، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، (2012)

- "إكليل من شوك" الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، (2018).

وفي القصة:

- "تقارير كاذبة" الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، (2016).

وفي فن السيرة والدراسة الأدبية:

- "أسماء على ضفاف على العاصي"، مكتبة المنار، صنعاء، (1999).

- "عبد الوهاب الشيخ خليل شاعر وإنسان من ربوع العاصي. دار أبي الفداء العالمية، حماة، (2011).

- "أيمن أبو الشعر بين روزا لوكسمبورغ وساحة العاصي". دار جهات، دمشق، (2022).

وفي الدراسة الأدبية والنقد:

- مدخل إلى الأدب العربي في العصر العثماني. جامعة البعث، (2002).

- كتب مشتركة عن أدباء مكرمين في اتحاد الكتاب العرب. دمشق، (2002-2011).

- "مصطلحات مختلة"، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، (2018).

وفي الترجمة:

- حدود العصور حدود الثقافات. اتحاد الكتاب العرب. دمشق، (1995).

صدر عن دار جهات للنشر والطباعة والتوزيع

- 1- دستور المحامين أ. أسامة توفيق أبو الفضل - 2021
- 2- قالت لي العصفورة مجموعة من المؤلفين - 2021
(مقاربات نقدية عن ديوان "مرايا الخُلم" للشاعر جهاد الأحمدية)
- 3- تغريبة أهل الشام د. أيمن أبو الشعر - 2022

دار
جماعت
Jihat
N
U
S
E